

وزارة المعارف العمومية

المتنبي

من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندرى أحمد أمين على الجارم

عبد العزيز البشرى الدكتور أحمد ضيف

وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

الجزء الأول

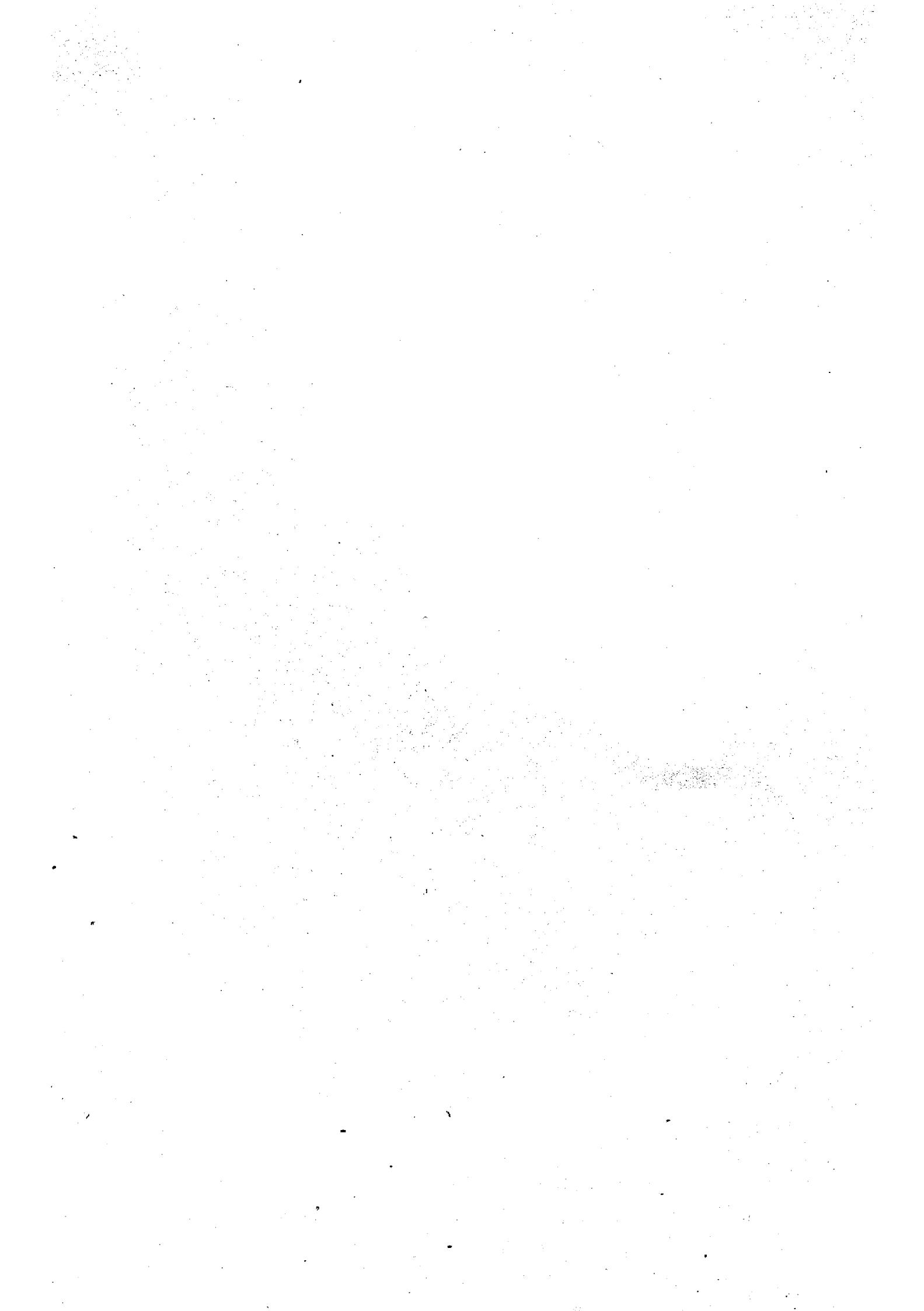
للسنة الأولى الثانوية

جمعه وشرحه

احمد الاسكندرى احمد امين على الجازم
عبد العزيز البشري الدكتور احمد ضيف

١٩٥٤

طبع
دار الكتاب العربي ببصر
محمد حلمي النياوي



فهرس الكتاب

المقدمة ... **عصر التحضر الحديثة**

(١) التّشّيّع

صفحة	ـ مصطفى باشا كامل
٢٦	ـ من خطبة له في تحميس أبناء الوطن
٢٦	ـ من خطبة له ألقاها في الاسكندرية في الاعتزاز بالوطن ...
٢٩	ـ الشيخ أحمد مفتاح
٣١	ـ كتاب في التهادى
٣١	ـ الشيخ علي يوسف
٣٢	ـ ما كتبه تحت عنوان « لا تعصب في مصر » ...
٣٢	ـ الشيخ حمزه فتح الله
٣٥	ـ كتابه إلى بعض الأفضل يطلب مودته ...
٣٥	ـ حفيظ بك ناصف
٣٦	ـ كتابه إلى السيد توفيق البكري يعتب عليه إهاله لاياده في مجلس
٣٦	ـ كتابه إلى الشيخ على الليثي يشكره على هدية هنب ...
٤٠	ـ كتابه يعزى به كبيراً في ولده
٤٢	ـ السيد مصطفى اطفي المنفلوطى ...
٤٣	ـ نفس الشاعر
٤٣	ـ الشاعر
٤٥	ـ سعد زغلول باشا
٤٧	ـ نداءه إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر صدر سنة ١٩٢١ م
٤٧	ـ محمد بك المولى الحمى
٤٩	ـ كتابه إلى منيف باشا وزير المعارف التركية يعزيه في ابنته ...
٤٩	ـ وصف الصباح (من كتابه : حديث عيسى بن هشام)
٥٤	ـ وصف الأهرام
٥٥	ـ مصطفى صادق الرافعى
٥٦	ـ وصف البلاغة النبوية
٥٦	ـ

(ب) الشعر

ـ الحساب
ـ ما كتبه على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه
ـ ما قاله متغزاً
ـ الشيخ حسن العطار
ـ ما قاله متغزاً
ـ قوله متغزاً أيضاً ...
ـ وصف بركة الأزبكية ...
ـ السيد علي الدرويش
ـ رناؤه صديقه المرحوم الشيخ على الغلبان ...
ـ الشيخ شهاب
ـ من قصيده التي أنشأها لكتكتب حول جامع القلعة

صفحة	الشيخ ناصيف اليازجي									
٦٣	من قوله في الغزل
٦٣	وقال في الصد
٦٣	من رثائه صديقاه
٦٤	ومن رثائه أيضاً
٦٤	رثاؤه طيبها من أصدقائه
٦٤	السيد على أبو النصر ...
٦٥	تحسره على فراقه أحبابه
٦٥	ومن قوله يصف جمال الطبيعة
٦٦	من قوله متغزلاً
٦٦	ما كتبه إلى بعض أصحابه
٦٧	صفوت الساعاتي ...
٦٩	رثاؤه الأديب الشيخ حسن قويدر
٦٩	عبد الله باشا فكري ...
٧٠	رده على قصيدة لأحمد فارس الشدياق
٧٠	من قوله متغزلاً
٧١	اعتذاره إلى السيد عبد الهادي نجاح الإيباري عن عدم لجأة دعوه لم تصل إليه ...
٧١	الشيخ على الائبي ...
٧٢	رثاؤه محمود باشا الفلكي
٧٢	ومن قصيدة له عقب الثورة العرابية
٧٣	وصفه السفينة وهو عائد من برلين
٧٤	السيد عبد الله نديم ...
٧٤	من قوله متغزلاً ...
٧٤	الشيخ نجيب الحداد ...
٧٥	مدحه مصر والمصريين ...
٧٥	مصطفى بك نجيب ...
٧٧	شكراً بعض الأدباء على ساعه أهدادها إليه
٧٧	ما كتبه على يد صوفحة
٧٨	محمود باشا سامي البارودي ...
٧٨	من قصيدة طويلة في الفخر
٧٨	تشوقة وهو في المنفى ...
٧٩	رثاؤه أباه لما ناهز العشرين ...
٨٠	من قصيدة له يرثى بها زوجته وقد ماتت في مصر وهو لا يزال في منفاه
٨١	وصفه الحرب ...
٨١	وصفه الفراق ...
٨٢	حقني بك ناصف ...

- قوله يخاطب ناظر المقاومة وقد تقله إلى قنا ٨٣
- سؤاله المرحوم حسين رشدى باشا أن يمد خدمته لما أشرف على الإحالة إلى المعاش ٨٦
- قوله في التحمس على ضياع علمه بموجة ٨٦
- ولي الدين يكن ٨٧
- ويل للناس من الناس ٨٧
- معارضته قصيدة الحصرى (يا ليل الصب متي غده) ٨٨
- إسماعيل صبرى باشا ... ٩٠
- من قوله في إشار الموت على الحياة ٩٠
- مناجاته الدواة ... ٩٠
- قوله يتمنى الموت ٩١
- قوله في وصف لقاء صديق ٩١
- قال في ساعة التوديع ... ٩٢
- قال متغزلاً ... ٩٢
- قال متغزلاً أيضاً ٩٣
- ومن قوله متغزلاً أيضاً ... ٩٣
- من قوله في التصوف ... ٩٤
- رثاؤه عمر ابن المرحوم الشيخ على يوسف وقد مات صغيراً ... ٩٤
- قوله يحمّس المصريين على لسان فرعون ... ٩٥
- قال في مساحة الصديق ٩٦
- الشيخ محمد عبد المطلب ... ٩٦
- من قصيدة له بعيد النيروز سنة ١٩١٩ م ينخر ببصر ويمد ما ثرها ... ٩٧
- من قصيدة له في المعلم ... ٩٧
- حافظ إبراهيم ... ٩٨
- وصف الشمس ... ٩٨
- ما قاله على لسان اللغة العربية تتعى حظها بين أهلها ١٠٠
- غادة اليابان ... ١٠٢
- سوق ... ١٠٦
- من قصيدة له يصف فيها دمشق ... ١٠٧
- قوله متغزلاً ... ١٠٧
- قوله متغزلاً أيضاً ١٠٧
- وصفه الطبيعة في طريقه إلى الاستانة فادما من أوربا ... ١٠٨
- وصفه الطيارة ... ١١٠
- من قصيدة له دعاها « الأندلس الجديدة » ... ١١٠
- من روائع حكمه وما جرى من شعره بجرى الأمثال ... ١١١

مقدمة

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد عدلت وزارة المعارف مناهج الأدب العربي ، كما أخذت غيرها بفنون التعديل . وكان تاريخ الأدب يُدرس في المدارس الثانوية مبتدئاً من حيث يلتقى الأدب ، ويظل مسترسلاً إلى هذا العصر الذي نعيش فيه . فاجتمع رأيهما على أن يبدأ تدریسه في هذه المدارس من هذا العصر لأن أدبه هو الحاضر لهم ، الملابس لحسهم ، المترجم عما يحيط بهم . فإذا انتهوا منه ، ترقوا إلى العصر الذي فوقه ، فإنه أدنى إليهم ، وأحضر من سواد لهم . هكذا . وكذلك وضعنا كتاباً : « تاريخ الأدب العربي » ، وعلى هذا النحو حررناه . ولقد دعا ذلك ، بالضرورة ، إلى تغيير الوضع فيما كنا قد اختزناه من النصوص الأدبية في كتاب : « المختسب من أدب العرب » وخاصة بعد إذ فرض تاريخ الأدب ، وفي هذه المناهج الجديدة ، على طلاب السنتين : الأولى ، والثانية . ولم يكن لها فيه حظ كبير ولا صغير .

وقد أخرجنا هذا المختسب الجديد في أربعة أجزاء ، لكل سنة من سنين التعليم الثانوي جزء مقصوم .

وقد حرصنا أشد الحرص ، في هذا الكتاب أيضاً ، على أمرَين نرى أن
لهم خطراً عظيماً :

(الأول) أن تكون النصوص التي نختارها لـ كلّ عصرٍ من عصور
الأدب العربيّ مرآةً صافية ، وصورةً صادقةً واضحةً للحياة الأدبية في هذا
العصر ، على اختلافِ فروعها ، وافتراقِ زعاراتِ الشعراء والكتاب والأدباء
فيها ، بحيث يستطيع المعلمُ أن يعتمد عليه في تصوير ما يدرس للمتعلمين من
تاريخ الأدب ، ويستطيع المتعلمون أن يجدوا فيه مصداقاً ما يسمعون من
الأساتذة ، ويقرءون من الكتب من حقائقِ هذا التاريخ .

(الثاني) أن يكونَ ما اخترناه ، على صحة تفطيله للعصور الأدبية ، وصدق
تصويرة لشخصياتِ الأدباء ، ومذاهبِهم في الأدب ، في جملته جميلاً رائقاً ،
وجزلاً رائعاً ، خفيف الموقف من الأسماع ، لطيفَ المسارك إلى النفوس ،
 يستطيع أن يبعث في قلوبِ الشبابِ حبَّ لغتهم وأدبها ، ويرغبُهم في الاستزادة
منهما ، والتتحققُ فيهما : وتوخيئنا ، إلى ذلك كله ، أن يكونَ جللاً ما اخترناه
من الشعر والثر سهلاً يسيراً ، يلامِحُ حالةَ الشباب وطاقتهم .

على أننا : فوقَ هذا ، ضبطنا الجزء الأول بالشكل الكامل ، وتوسلا إلى
أخذِ المبتدئينَ بالمنطق الصحيح للجديدِ عليهم من فصيح العربية ، كما تمحرّينا
شرحَ كلّ ما يغُربُ عليهم من مفرداتِ اللغة ، حتى لا تختلط المعانى على أذهانِهم
على أنه كلاماً علت بهم السنون تَحْفَفَنَا من هذا وهذا بقدر ، طوعاً لسنة التدريج .
ونحن نرجو أن نكون قد وفقنا من ذلك إلى ما قصدناه ، والله وحده

عصر النهضة الحديثة

(١) النثر

١ - الشيخ عبد الرحمن الجبرتي^(١)

قال في كتابه «عجائب الآثار في التراث والأخبار» عند الكلام على الجملة الفرنسيّة سنة ثلث عشرة ومائتين وألف :

وهي أول سيني الملاحم^(٢) المظيمة ، والحوادث الجسيمة^(٣) ، والواقع^(٤) النازلة ، والنوازل الهاطلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور^(٥) ، وتواتي المحن ، واحتلال الزَّمن ، وانكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع ، وتنامي الأهوال ، واختلاف الأحوال ، وفساد التَّدبير ، وحصول التَّدمير ، وعموم^(٦) الخراب ، وتواتر الأسباب : «وما كان ربُك ليهلك القرى بظلمٍ وأهلكها مصلحون» .

(١) هو مؤرخ مصرى ، ولد بعصر وتعلم بالأزهر . ونسبته إلى جبرت وهي الزيام في بلاد الجبشتة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتبا في الديوان وكان مفتى الحنفية في عهد محمد علي باشا ؛ وأشار مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر سنة ١١٠٠ هـ إلى سنة ١٢٣٦ هـ . وقد مات سنة ١٢٤٠ هـ . بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قتل .

(٢) الملاحم : جمع ملحمة ؛ وهي الحرب العظيمة .

(٣) الجسيمة : المظيمة

(٤) ترادف : تنامي

في يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة ، وردت مكابيَّاتٌ على يد الساعاة من ثغر الإسكندرية ، ومضمونها أن في يوم الخميس ثامنِه حضر إلى الثغر عدّة مراكب من مراكب الإنجليز ، ووقفت على البعد بحيث يرآها أهلُ الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشرَ مركباً أيضاً ، فانتظرَ أهلُ الثغر ما يريدون ، وإذا بقابق صغيرٍ واصل من عندهم وفيه عشرةٌ آنفَار فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد ، والرئيس إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض ، السيد محمد كريم الآتي ذكره ، فكلمُوْهم واستخبرُوْهم عن غرضِهم ، فأخبروا أنهم إنكليز ، حضروا للتفتيش على الفرانسيس لأنهم خرجو بعمارٍ^(١) عظيمة ، يريدون جهة من الجهات ، ولا ندري أين قصدُهم ، فربما دهُوكُم ، فلا تقدرون على دفعِهم ، ولا تتمكنوا^(٢) من منعهم ، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول ؛ وظنَّ أنها مكيدة ، وجاؤوْهم بكلام خشن ؛ فقالت رسول الإنكليز : نحن نقف براً كنا في البحر ، محافظين على الثغر ، لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بشمنه ، فلم يحببوهم لذلك ، وقالوا : هذه بلادُ السلطان ، وليس للفرانسيس ولا غيرِهم عليها سبيل فاذهبوا عننا ، فعندما عادت رسول الإنكليز ، وأقلعوا في البحر ، ليُمْتَأروْا^(٣) من غير الإسكندرية ، ولِيقْضِي الله أمرًا كان مفuo لا ؟ ثم إن

(١) يريد أسطولا.

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب : ولا تتمكنون .

(٣) ليجلبوا الميرة ؟ وهي الزاد .

أَهْلُ الشَّغْرِ أَرْسَلُوا إِلَى كَاشِفِ الْبُحَيْرَةِ لِيَجْمَعَ الْعُرْبَانَ، وَيَأْتِي مَعَهُمْ لِلمَحَافَظَةِ
بِالشَّغْرِ، فَلَمَّا قُرِئَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَ عَصَرَ حَصَلَ بِهَا الْلَّغْطُ الْكَثِيرُ مِنْ
النَّاسِ، وَتَحْدَدُوا بِذَلِكَ فِيهَا يَنْهَمُونَ، وَكَثُرَتِ الْمَقَالَاتُ^(١) وَالْأَرَاجِيفُ^(٢).

٢ - من كتاب للشيخ حسن العطار^(٣)

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشِي^(٤) رَقْمَتِه^(٥) الْأَقْلَامَ، وَأَبْهَى زَهْرَ تَفَتَّحَتِ
عَنْهُ الْأَكْنَامَ^(٦) عَاطِرُ سَلَامٍ يَفْوُخُ بِعَيْرِ^(٧) الْمَحَبَّةِ نَفْحَهُ^(٨) وَيُشْرِقُ
فِي سَمَاءِ الْطَّرُوسِ^(٩) صِبْحَهُ.

سَلَامٌ كَزَهْرِ الرُّوْضِ أَوْ نَفْحَةِ الصَّبَا^(١٠)
أَوِ الرَّاحِ تَجْلِي فِي يَدِ الرَّشَاءِ الْأَلَمِيِّ^(١٠)

(١) المقالات : الأقوال .

(٢) الأراجيف : الأقوال تقال على جهة التخيل والظن أو السذب والادعاء .

(٣) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ، وصار بعد محرراً لـ«لوقائع المصرية» أول ظهورها ، ثم صار شيخاً للازهر الشريف وكان ، على علمه ؟ شاعراً كتاباً بليقا ؟ توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

(٤) الوشي : المحسن بالألوان . يريد به هنا : زخرفة الكلام .

(٥) رقته : خطته .

(٦) الأكمام : جمع كم بكسر السكاف وتشديد الميم وهو غلاف الزهرة التي تنشق منه .

(٧) العيير : أخلاط من الطيب .

(٨) نفحه : رائحته :

(٩) الطروس : الأوراق ، واحدتها طرس بكسر الطاء .

(١٠) الراح : الخمر تجلبي : بالبناء المجهول تكشف وتدار مشرفة . الرشا : ولد الظبيبة
والألمي : المسود الشفقة ؟ وهذه الصفة من مظاهر الحسن عند العرب .

سَلَامُ عَاطِرِ الْأَرْدَانِ^(١) ، تَحْمِلُهُ الصَّبَّا سَارِيَةً عَلَى الرَّنْدِ^(٢) وَالْبَانِ^(٣) ، إِلَى
مَقَامِ حَضْرَةِ الْمُخْلِصِ الْوَدَادِ ، الَّذِي هُوَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ وَالْفُوَادِ ،
صَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيمَةِ ، حِلْيَةِ الزَّمَانِ الَّذِي حَلَّ بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ .

٣ — رفاعة بك رافع الطهطاوى^(٤)

من كلام له في حب الوطن :

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ طَبْعِ الْأَخْرَارِ إِحْرَازُ الْحَنِينِ إِلَى
الْأُوْطَانِ . وَمَوْلِدُ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ ، وَمَنْشَوَهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ .
وَلِأَرْضِكَ حُرْمَةُ وَطَنِهَا ، كَمَا لِوَالِدِكَ حَقُّ لَبَنِهَا . وَالْكَرِيمُ لَا يَجْفُو
أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ^(٥) ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّي وَإِنَّ الْبَسْتَنِي الْمَحْرُوسَةَ
نِعْمًَا ، وَرَفَعَتْ لِي بَيْنَ أَمْثَالِي عَلَمًا^(٦) . وَكَانَتْ أُمُّ الْوَطَنِ الْعَامَ ؛ وَوَلِيَّةُ
الْآَلَاءِ وَالْإِنْعَامِ ، وَأَحِبَّهَا حُبًّا جَمِّا ، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النَّعْمَ . وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ
مُجاوِرًا « كَرَامَ السَّجَاجِيَا وَالْبُحُورَ الْطَّوَامِيَا » . فَلَازَلْتُ أَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي

(١) الأرдан : جم ردن باسم الراة ؟ وهو طرف الماء .

(٢) الرند : نبات طيب الرائحة .

(٣) البان : شجر معندي القوام يستخرج من جبهة دهن طيب .

(٤) ولد بطهطا : مدينة بعديرية جرجا ؟ وربى بالأزهر وفرنسا ؟ وشغل مناصب تعليمية وسوهاها
وألف عدة كتب . وهو على الجملة من بنات النهضة الحديثة في العلم والأدب . وتوفي سنة ١٢٩٠ هـ .

(٥) القوابل : جمع قابله . وهي التي تتلقى الولد عند ولادته .

(٦) العلم بفتحتين : الراية ؟ يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

الخُصُوصِيَّ وَأَتَشَوَّفُ^(١) ؛ وَأَتَطَلَّعُ إِلَى أَخْبَارِ السَّارَةِ وَأَتَعَرَّفُ . وَلَا أُسَاوِي
بِطَهْطَا الْخِصْبَةِ سِوَاهَا ، فِي الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَنْوَاهَا .

مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غَيْرَهَا مُقْبِسَةً حَيَا يَعْمُلُ ، وَخُصْتُ بِالْتَّحِيَّاتِ^(٢)
وَأَمْنَحْهَا زَمَنًا بَعْدَ زَمَنِ الْزِيَارَةِ ، وَاجْهَدْتُ فِيهَا مِنْ هَبَاتِ الْحُكُومَةِ
الْعِمَارَةَ ، وَابْذَلْتُ فِي تَحْبِبِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرْضِيِّ لِلزَّرْعِ وَالغَرْسِ ،
وَأَفْتَخَرْتُ بِهَا كَمَا افْتَخَرَ عَصَامُ بِالنَّفْسِ^(٣) ، وَأَنْشَدْتُ قَوْلَ الْحَافِظِ كَالَّذِينَ
الْأَدْفُوْيِّ .

أَحْرَنْتُ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ وَيَزِدَادُ وَجْدِي حِينَ تَبَدُّلُ قِبَابِهَا
وَتَذَكَّرُهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَرِي فَتَجَرَّى دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ التَّهَابِهَا

٤ - لعبد الله باشا فكري^(٤)

سَلَامٌ يُعْبَرُ عَنِ الْوِدَادِ طِيبٌ عَبِيرِهِ^(٥) ، وَيُبَحِّرُ عَنِ الْخَلَاصِ الْفَوَادِ لَطْفُ
عَبِيرِهِ ، وَثَنَاءٌ عَلَى حَمَاسِنِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ^(٦) ، أَرْقَ مِنْ نَسَمَاتِ الشَّمَائِلِ^(٧) ، وَتَحْيَيَّةٌ

(١) تَشَوَّفُ إِلَى الشَّيْءِ : تَطَلَّعُ إِلَيْهِ فِي شَفَفٍ .

(٢) الْحَيَا : الْمَطَرُ . يَدْعُو لَهَا بِالْحَصْبِ وَالرَّطَاءِ .

(٣) يُشَيرُ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

نَفْسُ عَصَامَ سُودَتْ عَصَاماً وَعَلَمَتْهُ السَّكَرُ وَالْأَقْدَاماً
وَصَبَرَتْهُ مَلْكَا هَاماً

(٤) انظر ترجمته في الشعر .

(٥) عَبِيرُ الزَّهْرِ : رائحةُ الطَّيْبَةِ .

(٦) الْخَلَابِيَا وَالسِّجَابِيَا .

(٧) جمع شَمَائِلُ : اسْمُ رَبِيعٍ .

بِهِيَةٌ تُباهى الْخَمَائِلَ^(١) ، بِنَفَحَاتٍ أَوْرَادِهَا^(٢) ، وَأَذْعِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ جَعَلَتْهَا الْأَنْسَنةَ
خَيْرًا أَوْرَادِهَا^(٣) ، وَسُؤَالٌ عَنِ الْمَزَاجِ الزَّاهِرِ ، وَصَحةِ الْخَاطِرِ الْبَاهِرِ ، لَا زَلْتُمْ
حَمَلَّ نِعْمَةً يَتَّصِلُّ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ بِقَوْهَا ، وَيَزِيدُ عَلَى مَرْ الشَّهُورِ وَالْأَعْوَامِ
بِهَاوْهَا وَلَا بَرَحَتْ لُغُورُ الْإِقْبَالِ إِلَيْكُمْ بَوَاسِمُ ، وَرِياحُ الْآمَالِ لَدِينَكُمْ
نَوَاسِمٌ^(٤) .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ بِي مِنَ الْأَشْوَاقِ ، مَا تَضَعُفُ عَنْ حَمْلِهِ إِلَى حِمَا كُمُّ الْأَوْرَاقِ ،
وَمِنَ التَّأْسِفِ عَلَى مَا حُرِّمَتْهُ مِنْ لَقِيَا كُمُّ ، وَالتَّلَهُفُ إِلَى مَطَالِعَةِ الْأَنْوَارِ مُحْيَا كُمُّ
مَا يَقْصُرُ عَنْ وَصْفِهِ لِسَانُ الْبَرَاءَةِ^(٥) ، وَيُقْتَصِرُ دُونَ وَصْفِهِ بِيَانُ الْبَرَاءَةِ ،
وَيَضِيقُ عَنْهُ نِطَاقُ الْعِبَارَةِ ، وَلَا يَنْفَسِحُ لَهُ مَيْدَانُ الْإِشَارَةِ .

وَمِنْ كِتَابِهِ أَيْضًا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

كَتَبْتُ وَالْدَهْنُ فَارِ^(٦) ، مِنْ وَهْنِ الدَّفَّاتِرِ ، وَالثَّبَيِّضِ وَالتسُوِيدِ وَالتَّقِيِيدِ
وَالْمُسْدِيدِ ، وَالْتَّرْجِمَةِ وَكَثِيرَتِهَا ؛ وَالْهَمَّةِ وَفَتْرَتِهَا ، وَالْمَاهِيَّةِ^(٧) وَقَلْتِهَا ، وَالنَّفْسِ
وَذِلْتِهَا ، وَرَاتِي لَا يَكْفِي أُجْرَةُ الْبَيْتِ ، وَلَا يَقِنُ ثَمَنَ الْمَاءِ وَالْزَّيْتِ ، وَبِالْأَمْسِ
وَعَدَ الْوَكِيلُ بِالزِّيَادَةِ وَاعْتَذَرَ الْيَوْمَ بِالْأُصْبِيلِ^(٨) عَلَى الْعَادَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ حَصَلتْ

(١) الْخَمَائِلُ : جُمِعُ خَبِيلَةٍ وَهِيَ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفِ.

(٢) الْأَوْرَادُ : الْوَرَودُ.

(٣) الْأَوْرَادُ : مَا يَتَلَوَهُ النَّاسُكُ مِنَ الْأَذْكَارِ.

(٤) نَسْمَتُ الرَّبِيعَ : تَحْرَكَتْ وَهَبَتْ .

(٥) الْبَرَاءَةُ : الْقَلْمُ ؛ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : الْقَصْبَةُ .

(٦) فَتْرَةُ الصُّعْفِ ؟ فَالْدَهْنُ الْفَاتِرُ : الْمُنْبَعُ الْمَكْدُودُ .

(٧) الْمَاهِيَّةُ فِي اسْتِلَاحِ الْمَنَاطِقِ . حَقِيقَةُ الشَّيْءِ ؛ وَاسْتَعْمَلُهَا الْعَامَةُ بِعَنْيِ الْمَرْتَبِ .

(٨) الْأُصْبِيلُ : يَرِيدُ بِهِ الرَّئِيسُ .

زيادة فلازيد وعمره ، إلى آخر الزَّمْر ، ولِللهِ الْأَمْرُ . أَخْوَالٌ مُتَبَدِّدَة ، وَنُفُوسٌ
متبدلَة ، وَأَشْغَالٌ مُتَعَدِّدَة ، وَإِخْوَانٌ خُوَانٌ^(١) ، وَخِلَانٌ غِيلَان ، وَرِفَاقٌ ،
وَمَا أَجْمَلَ الفراق ! وقلت :

إِلَامٌ أَعَانَى الصَّبَرَ وَالدَّهْرُ غَادِرٌ وَحَتَّى مَتَى أَشْكُوُ وَمَالِي عَاذِرٌ
وَلَوْ أَنِّي أَشْكُوُ عَظَائِمَ شِدَّتِي امْبَيْتُ ، لِرَقْتُ لِي الْمُظَاهَمُ الْنَّوَارِ
وَسَأَلْتَ عَنْ فَلَانٍ وَفَلَانٍ ، وَهَيَّانٌ بْنَ بَيَّانٍ^(٢) ، مَمْنُونٌ يَنْتَسِبُ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ،
وَيَتَظَاهِرُ بِشِعَارِ فَضْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِلِحْيَةِ تَعْظُمٍ وَطُطَوْلٍ ، وَشَوَارِبٌ
تُحَفَّ وَتُسْتَأْصَلَ ، وَعُيُونٌ عَلَى مَا بَهَا مِنْ غَمَصٍ وَرَمَصٍ تُكَحَّلَ ... فَهُمْ
أَعْلَمُ مَمْنُونٌ أَقْلَتُهُ الْغَيْرَاءُ ، وَأَفْقَهُ مَمْنُونٌ أَظْلَلَتُهُ الْخَضْرَاءُ^(٣) ، وَإِنْ كَانَ لِلْعِلْمِ غَيْرُ هَذِهِ
الآلاتِ فَالْهُمْ سُوَى هَذِهِ الْحَالَاتِ .. يَا قَوْمٌ : أَهْذَا النَّحْوُ وَإِعْرَابُهُ ، وَالصِّرْفُ
وَأَبْوَابُهُ وَالعَرْوَضُ وَأَوْزَانُهُ وَأَبْحُرُهُ ، وَالْمَعَانِي وَإِنْشَاوَهُ وَخَبْرُهُ ، وَالبَيَانُ
وَفَرَائِدُهُ وَالْبَدِيعُ وَشَوَاهِدُهُ وَهَذِهِ الْمَلُومُ الْمَوْضِوعَةُ ، وَالْأَسْفَارُ الْمَحْوَلَةُ ،
وَالدُّرُوسُ الْمَأْهُولَةُ^(٤) ، وَالْأَصْوَاتُ الْمَهُولَةُ ، لِجَرَدِ مَعْرِفَةٍ ضَرَبَ زِيدٌ لَعْمَرَ وَهُوَ
وَقْتَالٌ خَالِدٌ لَبَكْرٌ . وَأَنْ قَالَ أَصْلُهَا قَوْلٌ ، ثُمَّ لَا يَدْرِي مَا حَصَلَ ، وَالظَّوَيلُ
مِنْ فَعْولَنَ مَفَاعِيلَنَ ، ثُمَّ لَا يَعْلَمُ ، كَيْفَ يُنْظَمُ ، وَالفَصْلُ وَالوَصْلُ ، وَلَا أَصْلَ
وَلَا فَصْلٌ ، وَالْحَقْيقَةُ وَالْمَجازُ ، وَلِيَسْ لَهُمَا مَجَازٌ ، وَالتُّورِيَّةُ وَالْجِنَاسُ ، مَمَا يُحْفَظُ

(١) خوان : جمع خائن .

(٢) هيان بن بيان : اسم لم لا يعرف ولا يعرف أبوه :

(٣) الخضراء : السماء .

(٤) الخاصة بالتلاميذ .

وَلَا يُقَاسُ إِذَا وَالله تَكُونُ تِلْكَ الْفُنُونُ ، مِنْ أَفَانِينِ^(١) الْجَنُونِ ، وَيَكُونُ
الْمِيلُ إِلَيْهَا ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهَا ، عَمَلاً حَابِطًا^(٢) ، وَشُغْلًا سَاقِطًا ، وَهَوَسًا بَاطِلًا ،
وَوَسْوَاسًا بَاطِلًا ، وَيَكُونُ وَاضِعُهَا أَسَاءُوا النَّاسَ ، وَأَخْطَلُوا الْقِيَامَ ، وَبَنُوا
عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ ، كَلَّا إِنَّمَا وَضَعُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ ، وَشَرَعُوا لِلنَّاسِ تِلْكَ الْمَوَارِدَ^(٣) ،
لَيَتَكَلَّمُوا بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِثْلَ مَا تَكَلَّمُتْ وَيَفْهَمُوا مِنْ أَفْاظِهَا كَالَّذِي فَهَمَتْ
وَيُتَزَجِّجُوا عَنْ سَرَائِرِ الصُّمَاهِيرِ كَمَا تَرَجَّمُتْ ، وَيَنْتَرُوا وَيَنْظُمُوا كَمَا تَرَثَتْ وَنَظَمَتْ .
وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْعَرَبُ الَّتِي أَوْدَعَ اللَّهُ الْفَصَاحَةَ لِسَانَهَا ، وَشَرَفَ بِسَيِّدِنَا
النَّبِيِّ وَالْقَرآنِ الْعَرَبِيِّ مَكَانَهَا ، تَكَلَّمُ بِهَذِهِ الْلِّغَةِ الْعَلِيَّةِ ، عَلَى الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ ،
وَالسَّجْيَةِ الْجَمِيلَيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالْأَصْوَلِ ، وَتِلْكَ الْأَبْوَابُ ، وَالْفَصُولُ ،
وَكَانَتْ تَعْتَدُ الْبَلَاغَةَ مَبْلَغَ عُلَاهَا ، وَتَعْتَقِدُ الْفَصَاحَةَ مِنْ مَحَاسِنِ حُلَاهَا ؛ إِلَى
أَنْ خَلَفَ هَذَا الْخَلْفَ ، فَظَنُّوا تِلْكَ الْوَسَائِلَ مَقَاصِدَ ، لَيْسَ بَعْدَهَا غَايَةُ الْقَاصِدِ ،
وَحَسِبُوا هَذِهِ الْكِتُبَ تَعْصِيَ لَذَاتِهَا ، وَيُكْتَبُقُ بِالْتَّعْبِدِ بِكَلَامَهَا ، فَوَقَفُوا
عَنْهَا ، وَلَمْ يَتَجَازُوهَا ، لَمَّا بَعْدَهَا ، وَاتَّخَذُوا الْأَدَبَ وَرَاءَهُمْ ظِهْرِيًّا^(٤) ، وَجَعَلُوا
النَّظَمُ وَالنَّثَرُ شَيْئًا فَرِيًّا^(٥) .

(١) أَفَانِينٌ : أَنْوَاعٌ .

(٢) حَابِطًا : بَاطِلًا .

(٣) الْمَوَارِدُ : مَوَاضِعُ الْمَاءِ يَسْتَقِي دِنْهَا . شَرَعُوهَا . فَتَحُوا هَا .

(٤) أَيْ نَذْوَهُ .

(٥) أَيْ لَعْنَا .

٥ - السيد عبد الله النديم^(١)

من رسالة طويلة، تعمّد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آي الذكر الحكيم:
 لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اسْتَبَّهُ الْمُرَاقِبُ^(٢) بِاللَّاهِ^(٣)، وَاسْتُبْدَلَ الْحَمْوُ بِالْمَرْءِ،
 وَقَدْمُ الرَّقِيقُ عَلَى الْخَرِّ، وَيَعِيَ الدُّرُّ بِالْخَزْفِ^(٤) وَالْخَزْفُ^(٥) بِالْخَشْفِ^(٦)، وَأَظْهَرَ
 كُلُّ أَئِيمَّ كَبِيرَهُ، إِنْ فِي ذَلِكَ لِعْبَرَةً : سَمِعَ سَمِعًا ، فَالْوَشَاءُ إِنْ سَعَوْا لَا يَعْقُلُوا ،
 وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعُلُوا ، فَكَيْفَ تَشْتَرُونَ مِنْهُمُ الْقَارَ^(٧) فِي صِفَةَ
 الْعَنْبَرِ ، وَقَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، وَكَيْفَ
 تَسْمَعُ الْأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَرَ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ^(٨)
 عَجَبَتْ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرَضُونَ . فَلَمَّا أَحَسُوا بِأَسْنَانِ إِذَا هُمْ مِنْهَا
 يَرَكِضُونَ^(٩) . وَأَنْتَ يَا عَزِيزَ الْعُلَيْمَ ، وَوَحِيدَ الدُّنْيَا ، قَدْ يَلْعَثُ لَكَ فِعْلَاهُمْ .

(١) انظر ترجمته في المعرف.

(٢) يريد بالمراقب: من يراقب الله تعالى وينهي عن عذابه.

(٣) الله: الاله؟ وهذا جناس.

(٤) الخزف: الفخار.

(٥) الخز: بفتح الخاء: الحرير يخلط بالصوف.

(٦) الخشف: الردىء من الصوف.

(٧) القار: الرزف.

(٨) ازدجره كزجره: منه ونهاده.

(٩) البأس: القوة. وركض: جرى وعدا.

فِيَمَا رَحْمَةً^(١) مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ . وَلَكِنَّهُمْ ضَمَّعُوا فِي عَمَّيْمٍ طَوْلَكَ^(٢) ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا^(٣) غَلِيظَ الْقَابِ لَا نَفَخْتُو امِنَ حَوْلَكَ أَتَرَاهُمْ يَعْقِلُونَ كَلَامَكَ أُمَّ يَفْهَمُونَ؟
الْعَمَرَكَ^(٤) إِنَّهُمْ لَنِي سَكْرَتَهُمْ يَعْمَهُونَ^(٥) . لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَدْرُونَ بِهَا لِلْحَسَدِ قَرَارًا ، لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوْلَيْتَ مِنْهُمْ فَرَارًا . كَيْفَ يَسْعَى الْعَادِلُ بَيْنَ النَّدِيمِ وَإِلْفِهِ ، وَقَدْ خَلَتِ النَّذْرُ^(٦) مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ . فَيَسَّادُتِي دُعُونِي مِنَ الْمُعْجِبِ وَالْمُطْرَبِ ، لَيْسَ الْبَرَّ أَنْ تُوَلُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . وَاجْعَلُوا سَيْفَ ثِبَاتِكُمْ لِلْعُدَالِ مَسْلُولاً ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً .

٦ — السيد جمال الدين الأفغاني^(٧)

كتب إلى عبد الله باشا فكري يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمته أمام الخديو على مسمع من فكري باشا فسكت ولم يدافع عنه^(٨) :
مولاي إِنْ نَسْبَتُكَ إِلَى هَوَادَةِ الْحَقِّ وَأَنْتَ — تَقْدَسَتْ جِبَلُوكَ^(٩) —
فُطِرْتَ عَلَيْهِ وَتَخَوَضُ الْعَمَرَاتِ إِلَيْهِ : فَقَدْ بَعْتَ يَقِينِي بِالشَّكِّ ؛ وَإِنْ تَوَهَّمْتُ فِيكَ

(١) فِيَمَا رَحْمَةً : فِي رَحْمَةٍ ؟ وَمَا لِلْتَوْكِيدِ .

(٢) طَوْلَكَ بفتح الطاء : لِإِحْسَانِكَ .

(٣) الفظ : الجاف النفسي للخلق .

(٤) لَعْمَرَكَ بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : وحياتك .

(٥) يَعْمَهُونَ : يَعْمِلُونَ .

(٦) النذر بضم التاءين : جمع نذير بمعنى الإنذار .

(٧) هو محمد بن صفتة ولد في أسعد أباد وتنقل في بلاد الهند وأفغانستان ، ثم رحل إلى الآستانة ؛ ثم نفى منها خفاء مصر وتفتح فيها من روحه ؛ وأسس نهضة إصلاحية في الدين والسياسة وتلمس له فيها الشيفون محمد عبده وغيره ، نفى من مصر ؛ ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة « العروة الونقة » ثم دعى إلى الآستانة وبها مات سنة ١٣١٥ هـ .

(٨) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكري باشا دافع عنه في ذلك القام أبلغ دفاع .

(٩) أَى طهر أصلك وطبعك .

حَيْدَانًا^(١) عَنِ الرُّشْدِ، وَجَوْرًا عَنِ الْقَصْدِ، وَأَنَا مُوقِنٌ أَنَّكَ لَازِلتَ عَلَى السَّدَادِ
غَيْرَ مُفْرَطٍ وَلَا مُفْرَطٍ^(٢) فَقَدْ اسْتَبَدَلْتُ عِلْمِي بِالْجَهْلِ - وَلَوْ قُلْتُ : إِنَّكَ مِنَ
الَّذِينَ تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةً لَا يُلْمِمُ ، وَتَصْدُهُمْ عَنِ الصَّدْقِ خَشْيَةً ظَالِمٌ، وَأَنْتَ
تَصْدُعُ بِهِ^(٣) غَيْرَ وَانِّي وَلَا ضَجْرٍ ، وَلَوْ أَلْبَ^(٤) الْبَاطِلُ الْكَوَارِثَ الْمُرْدِيَّةَ ،
وَأَجْزَى عَلَيْكَ الْحُطُوبَ الْمُوْبَقَةَ ، لَكَذَّبْتُ نُفْسِي وَكَذَّبْنِي مَنْ يَسْمَعُ مَقَاوَاتِي
لَأَنَّ الْعَالَمَ وَالْجَاهِلَ وَالْفَطَنَ وَالْغَيِّ كُلُّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى طَهَارَةِ سَجِيَّتِكِ .
وَنَقاوةِ سَرِيرِكِ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَضَائِلَ حَيْثُ أَنْتَ ، وَالْحَقُّ مَعَكَ أَيْنَمَا
كُنْتَ ، لَا تُفَارِقُ الْمَكَارِمَ وَلَوْ اضْطُرِرْتَ وَأَنْتَ مُجْبُولٌ عَلَى الْخَيْرِ لَا يَحُومُ
حَوْلَكَ شَرٌّ أَبَدًا ، وَلَا تَصْدُرُ عَنْكَ نَقِيَّةً قَصْدًا ، وَلَا تَهِنَّ^(٥) فِي قَضَاءِ حَقٍّ ،
وَلَا تَنِي عَنْ شَهَادَةِ صِدْقٍ - وَمَعَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ إِنَّكَ مَعَ عِلْمِكَ بِوَاقِعِ
أَمْرِي ، وَعِرْفَانِكَ بِسَرِيرِتِي وَسَرِيرِي ، أَرَاكَ مَا ذُدْتَ عَنْ حَقٍّ كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ حِمَايَتُهُ ، وَلَا صُنْتَ عَهْدًا كَانَتْ عَلَيْكَ رِعَايَتُهُ ، وَكَتَمْتَ الشَّهَادَةَ وَأَنْتَ
تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَضَمَرْتُ لِلْخِدْيُو وَلَا لِلْمُصْرِيَّينَ شَرًّا ، وَلَا أَسْرَرْتُ لِأَحَدٍ فِي خَفَيَّاتِ
ضَمِيرِي ضَرًّا ، وَتَرَكْتِنِي وَأَنِيَّابَ النَّذْلِ اللَّئِيمِ (فُلَانٍ) حَتَّى نَهَشَنِي نَهْشَـ
السَّبْعُ الْهَرَمِ الْمُظَامِ، ضَغْفِيَّةً مِنْهُ عَلَى السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَائِي وَإِغْرَاءً مِنْ أَعْدَائِي
أَحْزَابِ (فُلَانٍ) ، مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِكَ ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ رُشْدِكَ وَسَدَادِكَ

(١) الحيدان : الميل .

(٢) الإفراط في الشيء : الغلابة في الأخذ فيه . والتفريط : إهماله كل الإهمال .

(٣) تصدع به : تتجه به .

(٤) ألب : جمع .

(٥) تهـنـ : تضعف .

وَلَا يُطَاوِعْنِي لِسَانِي - وَإِنْ كَانَ قَلْبِي مُذْعِنًا بِعُظُمِ مَنْزِلَتِكَ فِي الْفَضَائِلِ ،
مُقْرَّاً بِشَرَفِ مَقَامِكَ فِي الْكَمَالَاتِ - أَنْ أَقُولَ : عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ إِلَّا أَنْ ،
تَصْدِعَ بِالْحَقِّ ، وَتَقِيمَ الصَّدْقَ ، وَتُظْهِرَ الشَّهَادَةَ إِزَاحَةً لِلشُّبُهَةِ ، وَإِدْحَاضًا
لِلْبَاطِلِ ، وَإِخْرَاجًا لِلشَّرِّ وَأَهْلِهِ ، وَأَظْنَكَ قَدْ فَعَلْتَ أَدَاءً لِفَرِيضةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ،
ثُمَّ إِنِّي يَا مَوْلَايَ أَذْهَبُ إِلَيْكَ لِنَدَنَ وَمِنْهَا إِلَى بَارِيسَ مُسْلِمًا عَلَيْكُمْ ،
وَدَاعِيًّا لَكُمْ . - وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ . وَعَلَى أَخِي الْفَاضِلِ الْبَارِئِ مِنْ بَكِ .

جمال الدين الأفغاني

١٣٠٠ صفر سنة

٧ - لِلْأَدِيبِ إِسْحَاقَ^(١)

أُوروبا والشرق

كتب تحت هذا العنوان :

قضى على الشرق أنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الْأَرْتِفَاعِ ، وَيَذَلَّ بَعْدَ الْأَمْتِنَاعِ^(٢)
وَيَكُونَ هَدَفًا^(٣) لِسِهَامِ الْمَطَامِعِ وَالْمَطَالِبِ ، تَعْبَثُ بِهِ أَيْدِي الْأَجَانِبِ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَنَهُمْ مَنْ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ بِحُجَّةِ الْفَيْرَةِ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَتَدَاهُلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقَامَةِ الْمَدِينَيَّةِ . وَلَمَّا نَرَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِي دَعْوَاهُ ،
بَلْ كُلُّهُمْ تَابَعَ فِي ذَلِكَ قَصْدَهُ وَهَوَاهُ .

(١) ولد بدمشق وتعلم في مدارس المرسلين العربية والفرنسية، وأجاد الأدب العربي واشتغل بالسياسة والصحافة وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغاني . وتوفي سنة ١٨٨٥ م . ويعتز أسلوبه بالإرسال المزوج بالسجع مع المسولة .

(٢) الْأَمْتِنَاعُ : الرفعة والمعنى على صروف الزمن أن تزال منه شيئاً .

(٣) الْهَدَفُ : بفتحتين مرئي السهام .

٨ — نجيب الحداد^(١)

كتب في إرضاء الناس :

« عبارة لو وضعت في كتب اللغة لكانـت أختـ المستـحيلـ في المـتعـنىـ ، ومرـادـفـ النـيـجمـ في الـبعـدـ ، وـشـبـهـ الـكـبـرـيتـ الـأـمـحـرـ^(٢) في الـنـدرـةـ وـالـقـلـةـ . وـإـنـ شـهـدتـ فـقـلـ : إـرـضـاءـ النـاسـ كـلـمـةـ تـقـالـ ، وـلـاتـخـالـ ، حـتـىـ يـصـاغـ مـنـ الـخـاتـمـ خـلـخـالـ . وـمـنـ لـاـ يـقـدـرـ أـنـ يـرـضـيـ الـوـاحـدـ الـفـرـدـ فيـ جـمـيعـ أـخـلـاقـهـ ، كـيـفـ يـقـدـرـ عـلـىـ أـنـ يـرـضـيـ الـجـمـيعـ ؟ـ » .

ومن كلامـهـ الجـارـىـ مجرـىـ الحـكـمـ :

مـنـ جـارـ عـلـىـ صـبـاهـ ، جـارـتـ عـلـيـهـ شـيـخـوـختـهـ .

مـهـمـاـ اجـتـهـدـتـ الـمـرـأـةـ فيـ أـنـ تـقـلـدـ الرـجـلـ ، فـجـلـ مـاـ تـصـلـ إـلـيـهـ أـنـهـ
لـاـ تـصـيـرـ رـجـلاـ ، وـلـاـ تـعـودـ أـمـرـأـةـ !

مـنـ غـرـيـبـ طـبـائـعـ الـإـنـسـانـ أـنـهـ يـحـبـ الـعـدـالـةـ مـظـلـومـاـ ، وـيـكـرـهـهـاـ
ظـالـماـ ، وـيـطـلـبـ الـحـرـيـةـ مـرـءـوسـاـ ، وـيـنـكـرـهـاـ رـئـيـساـ !

(١) كـاتـبـ رـقيقـ ، وـشـاعـرـ مـجـيدـ ، اـشـتـغلـ بـالتـعـرـيرـ فـيـ الصـفـفـ ، وـتـرـجـةـ الـرـوـاـيـاتـ ، وـأـسـلـوبـهـ رـصـينـ ، وـأـلـفـاظـهـ مـخـاتـرـةـ .

(٢) الـكـبـرـيتـ الـأـمـحـرـ : يـضـربـ بـهـ الـمـثـلـ فـيـ الـقـلـةـ وـالـنـدرـةـ .

٩ - مصطفى بك نجيب^(١)

كتب يصف نظارَةً ويشكر من أهداتها :

ورَدَ الْكِتَابُ الْمُطَرَّزُ بِحُلَى الْكَرَمِ، الْمُحَلَّ بِجَمِيلِ النَّعْمَ، وَاسْتَلَمَتُ^(٢)
 الْهَدِيَّةَ، فَسَلَمَتْ يَدَهَا، وَحُفِظَتِ السَّجَایَا الَّتِي لِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ
 هَدَتْهَا، وَدَامَتْ رَحَابُهُ لِمُثْلِهِ الْخَسَنَاتِ فِيهَا مَجَالٌ، وَلِمُحْسِنَاتِ بَهَائِهِ
 وَبَجَالٌ، وَلِلآمَالِ مَحَاطٌ رَحَالٌ؛ وَلِمَقَاصِدِ كَعْبَةٍ إِقْبَالٌ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ تَعَالَى اللَّهُ
 أَنْ تُمَاثِلَهَا نَفْسُ عَصَامٍ^(٣)، فَإِنَّهَا نَسَخَتْ آيَةَ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامِ، بِآيَةِ الْجُودِ
 وَالْإِكْرَامِ، وَفَعَلَتْ فِي الْقُلُوبِ بِالْعَطَاءِ وَالنَّوَالِ، مَا قَصَرَتْ عَنْهُ الرَّمَاحُ
 الطَّوَالُ، وَتَأَمَّلَتْهَا فَأَرَتِنِي مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَأَظْهَرَتْ مِنْ مَحَاسِنِ الْمَنَاظِرِ
 مَا أَضْمَرَتْ، وَقَرَّبَتْ كُلَّ مَنْظُورٍ بَعِيدٍ، وَتَلَتْ (فَكَشَفْنَا عَنْكَ
 غَطَاءِكَ فَبَصَرُوكَ الْيَوْمَ حَدِيدٍ)^(٤)، وَصَفَّا وَقْتِي بِصَفَّاهَا، فَلَمَّا أَشْتَهَ شَيْئًا
 إِلَاجَعَتْ يَدَهُ وَبَيْنِي، وَصَحَّ عَلَيْنَا قَوْلُ الْقَائِلِ : (رَأَيْتُ بِعَيْنِهَا وَرَأَتْ

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب . شاعر كاتب ، يمتاز بسهولة الأسلوب ، ورشاقة العبارة ، وإيراد أربع النكات في شعره ونثره . وقد نشأ في معية الخديوي ؟ ثم تحول إلى وزارة الداخلية فشغل فيها منصبًا كبيراً حتى مات رحمه الله ، وهو صاحب رسائل « أحلام الأحلام » وكتاب « حياة الإسلام » الذي نشر منهجاً في جريدة اللواء . وتوفي سنة ١٣٢٠ هـ

(٢) لقد جرى الكاتب أهل العصر في استعمال هذه الكلمة ؟ والاسلام لا يكون إلا للحجر الأسود .

(٣) اسم رجل أنشأ نفسه ويضرب به المثل ؟ قال النايفية الذي يدعوه :
 نفس عصام سودت عصاما * وعلمه الكر والإقداما
 * وصيروته ملائكة هاما *

(٤) حديد : قوى نفاذ .

بعيسي) ، ثم سرحت نظري في الأطلال والرسوم ^(١) حتى نظرت نظرة في النجوم ، فلم تخف عن شجرًا ولا مدرًا ^(٢) ولا نجمًا ، ولا قرًا :

يزيدك وجهه حسنة إذا ما زدته نظرا

بهاه ، يخيل لي أنها صيغة من ضياء ، فلو كانت في يد ذلك الظمان — أستغفر الله — لما كان يحسب أن السراب ماء ، استغرتها العقول حتى صار لـ كل إنسان فيها نظر ، واطلعت على تفاصيل الناس بـ جاءت لـ كل بصير بقدر ، ونال بها كل قصده وعرامه ، واستوأى عندها « أعمى وأعشى » ذو بصير وزرقاء ^(٣) اليمامة » ، فلو كانت عيننا لـ كشفت حقائق الضمائر ، ونظر بها تقلب القلوب وحقيقة البصائر . شهد لها الجموع بالفضل لـ مما ظهر لـ كل إنسان لـ دينها حالة ضعفه ، وعظم مقدارها كـ فرد ورفعها رغبة منه أو رغمها — على أنفه ، ولا عيب فيها غير أنني نظرت بها في سماء فضائل الباهر ، وأفق شرفك الظاهر ، فلم ينكشـ في بها الجودة آخر ، لـ زال كرمك بعيداً حـ على كـ ناظـ وبـ صـ ، وفضل مـ ناهـ مـ غـ آية تقـ صـ هـ الأـ وـ اـ لـ والأـ وـ اـ خـ .

(١) الأطلال والرسوم ما بقي من آثار الديار بعد أن تركها أهلها .

(٢) المدر : التراب المتلبـ ؟ أو الطين .

(٣) امرأة يـانية يـقال إنـها كانت تـبصر عـلى مـسـيـرة مـلاـئـة أيام .

١٠ - للشيخ محمد عبده^(١) «من رسالة التوحيد»

القرآن

جاءنا الخبرُ المتواترُ الذي لا تَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الرَّيْبَةُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي نَشَأَتِهِ وَأَمْيَاتِهِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَتَوَاتَرَتْ أَخْبَارُ الْأَمْمَ كَافَةً عَلَى أَنَّهُ جَاءَ بِكِتَابٍ قَالَ إِنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ الْمَكْتُوبُ فِي الْمَصَاحِفِ الْمَحْفُوظِ صُدُورُهُ فِي مَنْ عَنِيَ بِحَفْظِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْيَوْمِ

كتابٌ حَوَى مِنْ أَخْبَارِ الْأَمْمِ الْمَاضِيَّةِ مَا فِيهِ مُعْتَبَرٌ^(٢) لِلأَجِيلَ الْمُاضِيَّةِ وَالْمُسْتَقْبِلَةِ؛ تَقَبَّلَ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْهَا، وَغَادَرَ الْأَبَاطِيلَ الَّتِي أَلْحَقَتْهَا الْأَوْهَامُ بِهَا، وَنَبَّهَ عَلَى وُجُوهِ الْعِبْرَةِ فِيهَا. حَكَى عَنِ الْأَنْبِيَاءِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ سِيرِهِمْ، وَمَا كَانَ يَئِنُّهُمْ وَبَيْنَ أَمْيَاهُمْ، وَبِرَأْهُمْ مِمَّا رَأَاهُمْ بِهِ أَهْلُ دِينِهِمُ الْمُعْتَقِدُونَ بِرِسَالَاتِهِمْ. آخَذَ^(٣) الْعُلَمَاءُ مِنَ الْمُلَلِ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى مَا أَفْسَدُوا مِنْ عَقَائِدِهِمْ، وَمَا خَلَطُوا فِي أَحْكَامِهِمْ، وَمَا حَرَّفُوا^(٤) بِالْتَأْوِيلِ فِي كُتُبِهِمْ، وَشَرَعَ لِلنَّاسِ أَحْكَامًا تَنْطَبِقُ عَلَى مَصَاحِبِهِمْ، وَظَهَرَتِ الْفَائِدَةُ فِي الْعَمَلِ بِهَا وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَقَامَ بِهَا الْعَدْلُ، وَانتَظَمَ بِهَا شَمْلُ الْجَمَاعَةِ

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده في مجلة نصر أحدى قرى مديرية البصيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بجال الدين الأفغاني ، وكان أكثرا الناس انتفاعا به ، ثم نقى عقب الثورة العربية ؛ ولكنه عاد إلى مصر وتولى التدريس والقضاء في المحاكم الأهلية ثم الإفتاء بمجهداً محققاً . وقد توفي سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثاراً ثمينة وطبقة من أئمه الطبقات المصرية .

(٢) معتبر : عبرة وموعدة .

(٣) آخذ : حاسب .

(٤) التعريف : التغيير ؟ ووضع شيء مكان شيء .

ما كانت عند حَدَّ ما قَرَرَهُ^(١) ، ثم عَظُمَتْ المَضَرَّةُ فِي إِهْلِهَا وَالانحراف
عَنْهَا أَوْ الْبُعْدُ بِهَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ^(٢) فَفَاقَتْ بِذَلِكَ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ
الْوَضْعِيَّةِ^(٣) كَمَا يَتَبَيَّنُ لِلنَّاظِرِ فِي شَرَائِعِ الْأَمَمِ . ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِكْمَمْ
وَمُواعِظِ وَآدَابِ تَخْشَعُ لَهَا الْقُلُوبُ ، وَتَهَشُّ^(٤) لِاسْتِقْبَالِهَا الْعُقُولُ ، وَتَنْصَرِفُ
عَوَادِهَا الْهَمَمُ ، اِنْصِرَافُهَا فِي السَّبَيلِ الْأَمَمِ^(٥) .

نَزَّلَ الْقُرْآنُ فِي عَصْرٍ اَتَّفَقَ الرُّوَاهُ وَتَوَارَتِ الْاَخْبَارُ عَلَى أَنَّهُ أَرَقَّ
الْأَعْصَارِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَغْزَرَهَا مَادَّةً فِي الْفَصَاحَةِ ، وَأَنَّهُ الْمُتَازُ بَيْنَ جَمِيعِ
مَا تَقْدَمَهُ بِوَفْرَةِ رِجَالِ الْبَلَاغَةِ ، وَفُرْسَانِ الْخُطَابَةِ ، وَأَنْفَسُ مَا كَانَتْ
الْعَرْبُ تَتَنَافَسُ فِيهِ مِنْ شَعَارِ الْعُقْلِ ، وَتَنَاجِيَ الْفَطْنَ وَالَّذِي كَاءَ هُوَ الْغَلَبُ^(٦)
فِي الْقَوْلِ ، وَالسَّبِقُ إِلَى إِصَابَةِ مَكَانِ الْوِجْدَانِ مِنَ الْقُلُوبِ ، وَمَقْرَرُ الْإِذْعَانِ
مِنَ الْعُقُولِ ، وَتَفَانِيَهُمْ فِي الْمُفَاخِرَةِ بِذَلِكِ مِمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَى الإِطَالَةِ فِي بِيَانِهِ .
تَوَاتَّ الْخَبْرُ كَذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ الْحِرْصِ عَلَى مُعَارَضَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالنَّاسُ هُمُ الْوَسَائِلَ فِيْهَا وَبَعِيدَهَا ، لِإِبْطَالِ دَعْوَاهُ ، وَتَكْذِيبِهِ
فِي الْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ ، وَإِتْيَانِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَى مَبْلَغِ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
الْمُلُوكُ الَّذِينَ تَحْمِلُهُمْ عِزَّةُ الْمُرْكَلَاتِ عَلَى مُعَاذِنَتِهِ ، وَالْأَمْرَاءُ الَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ

(١) يُرِيدُ مَا دَامَتْ قَائِمةً عَلَى حَدَّ دُودَهُ ، عَاملةً بِحِكْمَاهُ .

(٢) أَوْدَعَتْهُ : حَفِظَتْ فِيهِ .

(٣) الشَّرَائِعُ الْوَضْعِيَّةُ : الْفَوَانِينُ الَّتِي تَسْهِلُ الْحُكُومَاتِ .

(٤) تَهَشُّ : تَرَقَّحَ وَتَسَرَّ .

(٥) الْأَمَمُ بفتح الهمزة وَالْمِيمُ : الْبَيْنُ الْوَاضِعُ .

(٦) الْغَلَبُ : التَّغْلِبُ .

الشَّرْطَانُ إِلَى مَنَاوَاتِهِ^(١) وَالْخُطْبَاءُ وَالشُّعَرَاءُ وَالْكُتُبَ الَّذِينَ يَسْمَحُونَ
بِأَنْوَافِهِمْ عَنْ مُتَابَقَتِهِ، وَقَدْ اشْتَدَّ جَمِيعُ أُولَئِكَ فِي مُقاوِمَتِهِ^(٢)، وَانْهَالُوا
بِقُوَّاهُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا عَنِ الْخُضُوعِ، وَتَمَسَّكًا بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
آدِيَانَ آبَائِهِمْ، وَجَهِيَّةَ^(٣) لِعَقَائِدِهِمْ وَعَقَائِدِ أَسْلَافِهِمْ، وَهُوَ مُعَذَّبٌ ذَلِكَ يُخْطَىءُ
آرَاءَهُمْ، وَيُسَفِّهُ أَحْلَامَهُمْ^(٤)، وَيَحْتَقِرُ أَصْنَافَهُمْ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَا لَمْ تَعْهَدْهُ
أَيَّامَهُمْ، وَلَمْ تَخْفَقْ لِمَثْلِهِ أَعْلَامُهُمْ، وَلَا حُجَّةً لَهُ بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ كُلِّهِ
إِلَّا تَحْدِيدُهُمْ^(٥) بِالْإِتِيَانِ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةِ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ، أَوْ بِعَشْرِ
سُورَاتِ مِنْ مِثْلِهِ، وَكَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَجْمِعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَّاحِاءِ
وَالْبُلْغَاءِ مَا شَاءُوا لِيَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ مِثْلِ مَا أَتَى بِهِ لِيُبَطِّلُوا الْحُجَّةَ،
وَيُفْعِمُوا^(٦) صَاحِبَ الدَّعْوَةِ.

جَاءَنَا الْخَبْرُ الْمُتَوَاتِرُ أَنْ مَعْ طُولِ زَمْنِ التَّحْدِيدِ، وَالْجَاجِ^(٧) الْقَوْمِ
فِي التَّعْدِيِّ، أَصْبَبُوا بِالْعِجْزِ، وَرَجَعُوا بِالْخَيْرِ، وَحَقَّتْ لِلْكِتَابِ الْعَزِيزِ
الْكَلْمَةُ الْعَلِيَّةُ عَلَى كُلِّ كَلَامِ.

وَلَهُ يَصُفُ نَهْجُ الْبِلَاغَةِ :

أَوْفَ لِي حُكْمُ الْقَدْرِ بِالْأَطْلَاعِ عَلَى كِتَابِ «نَهْجُ الْبِلَاغَةِ» صُدُوفَةً بِلَا تَعْمَلُ
أَصْبَبَتُهُ عَلَى تَغْيِيرِ حَالٍ^(٨)، وَتَبْلُبُلُ بَالِيِّ، وَتَزَاحُمُ أَشْغَالٍ^(٩)، وَعُطْلَةٌ مِنْ أَعْمَالِ،

(١) مَنَاوَاتِهِ : مُحَارَبَتِهِ .

(٢) مُقاوِمَتِهِ : صَدِّهِ .

(٣) الْجَهِيَّةُ : الْفَيْرَةُ .

(٤) الْأَحْلَامُ : جَمِيعُ حَلْمٍ؛ وَهُوَ الْعُقْلُ .

(٥) التَّعْدِيِّ : طَلْبُ الإِتِيَانِ بِالْأَشْيَاءِ مَعَ لَظْهَارِ الْعِجْزِ عَنْهُ .

(٦) يَفْعِمُونَهُ : يَجْمِعُونَهُ بِعِيَا هُنَّ النُّطْقُ وَالْمُقاوِمَةُ .

(٧) الْجَاجُ : هَذَا — الْمُتَابَعَةُ . (٨) تَبْلُبُلُ الْبَالِ . اضْطَرَابُهِ .

(٩) الْأَشْغَالُ : جَمِيعُ شَغْفٍ؛ وَهُوَ مَا يَشْغِلُ النَّفْسَ ؟ أَيْ تَزَاحُمُ الْمُهُومُ وَشَوَّافُلُ النَّفْسِ .

خَسِبَتُهُ لِلتَّسْلِيَةِ، وَجَعَلَتُهُ لِلتَّخْلِيَةِ. فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ، وَتَأْمَلْتُ جُمْلاً مِنْ عِبَارَاتِهِ، مِنْ مَوْضِعٍ مُخْتَلِفاتٍ، وَمَوَاضِيعَ مُتَفَرِّقَاتٍ. وَكَانَ يُخَيِّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنْ حُرِّمَ بِا شَبَّتْ وَغَارَاتِ شُدَّتْ، وَأَنَّ لِلْبَلَاغَةِ دَوْلَةً وَلِلْفَصَاحَةِ صَوْلَةً، وَأَنَّ لِلْأَوْهَامِ عَرَامَةً^(١)، وَلِلرِّيَبِ دَعَارَةً^(٢). وَأَنَّ جَحَافِلَ الْخَطَاَبةِ^(٣)، وَكَتَائِبَ^(٤) الْذَرَابَةِ^(٥)، فِي عُقُودِ النِّظَامِ، وَصُفُوفِ الانتِظامِ، تُنَافِحُ^(٦) بِالصَفِيفِيَجِ^(٧) الْأَبْلَاجِ^(٨)، وَالْقَوِيمِ الْأَمْلَاجِ^(٩) وَعَتَلَاجِ^(١٠) الْمَهَاجِ^(١١)، بِرَوَاعَنِ الْمَهَاجِ^(١٢). وَتَقْلُدُ دَعَارَةَ الْوَسَاؤِسِ، وَتُصَيِّبُ مَقَاوِلَ الْخَوَانِسِ^(١٣). فَمَا أَنَا إِلَّا وَأَلْحَقُ مُشَتَّصَرَ، وَالْبَاطِلَ مُنْكَسَرَ، وَمَرْجُ الشَّكِّ فِي هُمْودَ، وَهَرَجَ الرِّيَبِ فِي رُكُودَ، وَأَنَّ مُدَبَّرَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ، وَبَاسِلَ تِلْكَ الصَّوْلَةِ هُوَ حَامِلُ لِوَاهِمَ الْفَالَبِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبِ، بَلْ كُنْتُ كُلُّمَا اتَّقَلَّتُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَحْسَنَ بِتَغَيِّرِ الْمُتَشَاهِدِ، وَتَحَوَّلِ الْمُتَعَاهِدِ :

(١) عَرَامَةٌ — بفتح العين — : شدة وشراسة.

(٢) الدَّعَارَةٌ — بفتح الدال وكسرها — الفجور وسوء الحلق.

(٣) الْجَحَافِلُ : جمع جحفل — بفتح الجيم — وهو الجيش الكثير.

(٤) الْكَتَائِبُ : جمع كتبية — بفتح الكاف — وهي القطعة من الجيش.

(٥) الْذَرَابَةُ — بفتح الذال — : الفصاحة.

(٦) تُنَافِحُ : تتدافع.

(٧) الصَفِيفِيَجِ : السَيُوفُ ؟ وأراد بها هنا : المفرد.

(٨) الْأَبْلَاجُ : الأَيْضُ الْلَامُ.

(٩) يَرِيدُ بِالْقَوِيمِ الْأَمْلَاجِ : الرمح المعتدل الأسر.

(١٠) عَتَلَاجُ : عَتَصَ .

(١١) الْمَهَاجِ : جمع مهاجة — بضم الميم — وهي دم القلب .

(١٢) لَمْهَ يَرِيدُ بِالْخَوَانِسِ مَا يَجُولُ فِي النَّفْسِ مِنْ خَوَاطِرِ السُّوءِ .

(١٣) الْمَرَجُ — بفتح الراء — القلق والاضطراب ؟ وإنما تسكن الراء إذا قرنت بالمرج . والمرج —

بِسْكُونِ الراء — الفتنة .

فتَبَارَةً كُنْتُ أَجْدُنِي فِي عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِنَ الْمَعَانِي أَرْوَاحٌ حَالِيَّةٌ فِي حُلَلٍ مِنَ
الْعِبَارَاتِ الزَّاهِيَّةِ ، تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَّةِ^(١) ، وَتَدْنُو مِنَ الْقُلُوبِ
الصَّافِيَّةِ ، تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا وَتُقْوِمُ مِنْهَا مُنْتَادَهَا^(٢) ، وَتَنْفُرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ
الْمَزَالِ^(٣) ، إِلَى جَوَادٍ^(٤) الْفَضْلِ وَالْكَمالِ ، وَطَوْرًا كَانَتْ تَنْكَشِفُ لِي الْجَمَلِ
عَنْ وُجُوهِ بَاسِرَةٍ^(٥) ، وَأَنْيَابِ كَاشِرَةٍ وَأَرْوَاحٍ فِي أَشْبَاحِ النُّمُورِ ، وَنَخَالِبِ
الذُّسُورِ ، وَقَدْ تَحْفَرَتْ لِلْوَثَابِ ، ثُمَّ أَنْقَضَتْ الْإِخْتِلَابَ ، تَخْلَبَتِ الْقُلُوبُ عَنْ
هَوَاهَا ، وَأَخَذَتِ الْخَوَاطِرُ دُونَ مَرْمَاهَا ، وَأَغْتَالَتْ فَاسِدَ الْأَهْوَاءِ ، وَبَاطَلَ
الآرَاءِ . وَأَخْيَانَا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ عَقْلًا نُورَانِيَا ، لَا يَشْبُهُ خَلْقًا جُسْدَانِيَا ،
فَصَلَّ عَنِ الْمَوْكِبِ الْإِلهِيِّ^(٦) ، وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ الْإِنْسَانِيِّ ، تَخْلَعَهُ عَنْ فَاشِيَّاتِ
الْطَّبِيعَةِ وَسَمَا بِهِ إِلَى الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى ، وَنَمَا^(٧) بِهِ إِلَى مَشْهَدِ النُّورِ الْأَجْلِيِّ ،
وَسَكَنَ بِهِ إِلَى عَمَارِ جَانِبِ التَّقْدِيسِ ، بَعْدَ أَسْتِخْلَاصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّلَبِيسِ
وَآنَاتِ^(٨) كَائِنِي أَسْمَعُ خَطِيبَ الْحَكْمَةِ ، يُنَادِي بِأَعْلَيَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَأَوْلَيَاءِ
أَمْرِ الْأَمْمَةِ ، يُعْرِفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ وَيُبَصِّرُهُمْ مَوَاضِعَ الْأَرْتِيَابِ وَيُحَذِّرُهُمْ
مِنَ الْأَقْضَاطِرَابِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَقَائِقِ السِّيَاسَةِ ، وَيَهْدِيهِمْ طَرِيقَ
الْكِيَاسَةِ ، وَيَرْتَقِعُ بِهِمْ إِلَى مَنْصَاتِ^(٩) الرِّيَاسَةِ ، وَيُصْعِدُهُمْ شَرْفَ التَّدْبِيرِ ،
وَيُشَرِّفُ بِهِمْ عَلَى حُسْنِ الْمَصْبِيرِ .

(١) الزَّاكِيَّةُ : المَطْهُرَةُ .

(٢) الْمَنَادِيُّ : الْمَعْوِجُ .

(٣) المَدَاحِضُ : جَمْعُ مَدْحَضَةٍ — بَفْتَحِ الْيَمِّ — وَهِيَ الْمَزَاقَةُ وَالْمَزَلَةُ .

(٤) الْجَوَادُ — بِتَشْدِيدِ الدَّالِ — جَمْعُ جَادَةٍ ؛ وَهِيَ مُعْظَمُ الطَّرِيقِ أَوْ وَسْطِهِ .

(٥) بَاسِرَةُ : مَقْطَبَةٌ . (٦) فَصَلَّ عَنْهُ — بِصِيَغَةِ الْبَنَاءِ لِلْفَاعِلِ — خَرَجَ عَنْهُ . (٧) نَمَا بِهِ : ارْتَقَعَ .

(٨) آنَاتُ : أَوْقَاتٌ . (٩) الْمَنَصَاتُ : جَمْعُ مَنْصَةٍ — بِكَسْوَةِ الْيَمِّ — وَهِيَ الْكَرْسِيُّ .

١١ - إبراهيم بك المويلحي^(١)

يَشْكُو بِلسان حَاجٍّ مَا رأى إِخْدَى السَّنَينَ فِي الْحَجَّ مِنْ فَتْكِ الْوَبَاءِ^(٢)
بِالْحُجَّاجِ وَإِهْمَالِ السُّلْطَاتِ شَانَهُ وَشَانَهُمْ

ترجمت إلى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كَذَا فَلِيَجِلُ^(٣) الْخَطْبُ وَلَيَفْدَحُ^(٤) الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعِنْ لَمْ يَفِضِّ مَاؤُهَا عُذْرُ
يَقُولُ الشَّاعِرُ الْبَيْتَ الْجُزْلَ مِنَ الشِّعْرِ لِغَرْضِ لِهِ حَقِيرٌ ، ثُمَّ يَتَرَكُهُ وَيَأْتِي
مِنْ بَعْدِهِ مَنْ يَضْعِهِ مَوْضِعَهُ الْلَّائِقَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ . وَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ
لَا يَحْلُّ مَحَلَّهُ فِي رَثَاءِ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا يَقُولُ لِيُبَسْكَى بِهِ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ
فِي مَكَّةَ هَذَا الْعَامِ ، وَلَا غَرَوْ^(٥) أَنْ تَرَعَدَ الْيَدُ وَيَقِيفَ الْقَلْمَ ، وَيَتَلَعَّمُ اللِّسَانُ
عِنْدَ وَصْفِ مَا فَعَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ حِينَ قَامَتْ تَفْتِكُ فِي الْأَرْوَاحِ ، وَهَتَكُ فِي
الْأَشْبَاحِ^(٦) ، حَتَّى فُرِشتَ الْأَزْقَةُ بِالْمَوْتَىِ ، وَأَقَامَتْ مِنْهُمْ كُثُبَانًا^(٧) تَشَهِّدُ
عَلَى عَجْزِ الْقَوْمِ عَنْ تَدَارُكِ الْأُمُورِ .

(١) أصل أجداده من صرفاً الموبلج ببلاد العرب ؟ وقد انحدروا إلى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم في بيت حسب وغنى ، وكان أبوه من كبار التجار يتاجر في الحرير ؟ فنزح إبراهيم ، مع معاليته التجارية ، إلى الأدب فقرأ كثيراً من كتب المقدمين ، وكان من أوائل من استظهروها ؟ حتى برع في الأدب ؟ وحقق الفرنسيية والتركية ، وجود التاريخ القديم والحديث ، واتصل بالأفضل المبرزين في عصره وشرع لوناً من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وفولاذ القلم ، وبين الواقع على المعانى الفريبة ؟ والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة ، فـكان في بيانه نسيج وحده ، وهو يعد بحق من أوائل من بعنوا النهضة الأدبية في العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار ، ثم جريدة مفتاح الشرق وحرر فيها وفي كثير من الصحف التي كانت قائمة في عهده . وتوفي سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣ هـ) .

(٢) الوباء : المرض العام ينزل بالبلد فيصيب أهلها ويتشاهم .

(٣) فليجعل : فليعظم . (٤) فدح الأمر : تقل وصعب احتماله . (٥) لا غزو : لا عجب .

(٦) المراد من الأشباح هنا : الأجسام . (٧) الكثبان : جمع كثيب . وهو التل من الرمال .

ولقد رأيتُ من المناظر المدهشة ما تَصَاغِرَ عَنْهُ عَظِيمَاتُ النَّوَابِ ،
وَتَتَضَاءَلُ لَدِيهِ جَسِيمَاتُ الْمَصَابِ ، فَنَذَكَ أَنِّي رَأَيْتُ شَابًا عَلَيْهِ شَارَةً^(١)
الْحِشْمَةُ وَالنَّجَابَةُ ، يَتَخَبَّطُ فِي التُّرَابِ وَلَا يُسْتَطِعُ إِشَارَةً وَلَا كَلَامًا ، وَإِنَّمَا
كَانَ يَطْلُبُ بَعِينَيْهِ الْمَمْلُوَةِ تِينِ بِالدَّمْعِ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُ أَحَدُ الْمَارَّةِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ
فَوَجَدْتُهُ قَدْ مَاتَ . فَأَبْكَانِي مَوْتُهُ غَرِيبًا عَنْ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ
الْمُؤْلِمَةِ ، فَطَلَبْتُ بِالْأَجْرَةِ مَنْ يَدْفِنُهُ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا ، عَلَى إِفْرَاطِ حُبِّ الْمَالِ
فِي هَذَا الْبَلَدِ . فَكَتَبْتُ وَرْقَةً وَأَرْسَلْتُهَا إِلَى قَاضِي مَكَّةَ أَسْأَلَهُ الْمَعْوَنَةَ عَلَى
دَفْنِ هَؤُلَاءِ الْفُرَّبَاءِ الْمَطْرُونَ حِينَ تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ ، فَأَجَابَنِي بِأَنَّ
هَذَا لَا يَعْلَمُ^(٢) بِشَيْءٍ مِنْ وَظِيفَتِهِ ، وَلَا يَخْصُهُ الْاِشْتِغَالُ بِهِ افْسَالُ عَنْ غَيْرِهِ
مِنْ أَصْحَابِ الْخَلْقِ وَالْعَقْدِ^(٣) ، فَوَجَدْتُهُمْ قَدْ طَارُوا إِلَى الْطَّائِفِ وَتَرَكُوا مَكَّةَ
لِلْقَتْلِ الْعَامِ .

وَبِينَا أَنَا حَيْرَانٌ فِي وَسَطِ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ الْمَكْشُوفَةِ ، إِذْ لَاحَتْ مِنْ التِفَاتَةِ
إِلَى الْمَوْتَى فَرَأَيْتُ وَلَيْتَنِي لَمْ أَرَ ، امْرَأَةً اخْتَطَفْتُهَا الْمَنِيَّةُ مِنْ بِنْتٍ لَهَا صَغِيرَةٌ
لَمْ تَبْلُغْ سِنَّ التَّمَيِّزِ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ ، وَقَدْ شَرَعَتْ تِلْكَ الصَّغِيرَةُ تَحْرِكُ
أُمَّهَا يَدِيهِا لَا يُقْاتِلُهَا ، وَتَبْكِي لِعَدَمِ إِجَابَتِهَا ، بَعِيُونِ تَقَسَّمَتْ نَظَرَاتُهَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، وَتَعْدُهَا فِي خَلَالِ تِلْكَ النَّظَرَاتِ الْمُبْهَمَةِ أَنَّهَا لَا تَعُودُ لَشَيْءٍ كَانَتْ
بِهَتَّهَا عَنْهُ ، بِعِبارَاتٍ تَسْتَخْرِجُ الْخُنُوْجَ^(٤) وَالشَّفَقَةَ مِنَ الْقُلُوبِ الصَّخْرِيَّةِ .

(١) الشارة : العلامة والدلالة . (٢) يعلق : يتصل . أى ليس من شأنه .

(٣) المراد أهل التصرف في الأمور ، وهم رجال الحكومة . (٤) الخنو : الخنان .

فَأَمْسَكَتُ بِالْبَنْتِ وَلَا أُقْدِرُ أَنْ أَصِفَ لَكَ كَيْفَ فَصَلَّتُهَا عَنْ رَمَةٍ^(١) أُمِّهَا،
وَكَيْفَ كَانَ حَالُهَا وَحَالُ مَنْ يَرَاهَا عِنْدَ آخِرِ نَظَرَةٍ نَظَرَتْهَا إِلَى وَالدِّهَا وَكَافَلَتْهَا^(٢)
ثُمَّ قَفَلَنَا إِلَى جُدَّةَ مُشَتَّتَيْنَ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ أَرْسَلَتْ وَابْنَرَا لِنَقْلِ
الْحَجَاجِ، وَلِيَتَهَا لَمْ تُرْسَلْ فَإِنَّ قَبْطَانَ الْوَابُورِ كَانَ أَشَدَّ قَسْوَةً عَلَى الْحَجَاجِ
مِنَ الْمَوْتِ : أَمْ أَوَّلًا بِالْقَاءِ قُسْمٍ مِمَّا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَزْوَادِ^(٣) . فِي الْبَحْرِ
يَدْعُونِي الْمَحَافِظَةَ عَلَى الصِّحَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ يَبْيَعُ لَهُمْ ثَانِيَا، وَهُمْ فِي الْلَّجَّةِ^(٤) مَا
أَحْتَكَرَهُ مِنَ الْقُوَّتِ، يَبْيَعُ الْقَحْطُ الْيُوسُفِيُّ^(٥) . وَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ مِنَ النَّقْدِ
شَيْءٌ، شَرَعَ يَبْيَعُ لَهُمْ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْهَدَائِيَا وَالشَّبِيجِ، وَكَانَ الْجَبَّارُ لَا يُحِبُّ أَنْ
يَسْمَعَ بِعِرْيَضٍ فِي السَّفِينَةِ، وَلِهَذَا اضْطُرَّ كَثِيرٌ أَنْ يَكْتُمُوا أَمْرَاضَهُمْ.
وَمَا زَلَنَا مَعَهُ عَلَى شَفَاءٍ^(٦) الْخَطَرُ إِلَى أَنْ وَصَلَنَا إِلَى الطُّورِ، فَلَقِيَنَا هُنَاكَ مِنْ
كِبِيرِيَاءِ الْأَطِيَاءِ وَعَظَمَتِهِمْ مَا تَعْنَيَنَا لَهُ أَنْ نَكُونَ طُعْمًا^(٧) لِلْحَيَّاتِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا
يَأْنَفُونَ أَنْ يَعْسُوَا أَيْدِيَ الْحَجَاجِ بِأَيْدِيهِمْ؛ وَكَانُوا يَكْتَفُونَ بِالنَّظَرِ الشَّرَرِ^(٨)
عَلَيْهِمْ . وَكَثِيرًا مَا كَانُوا يَعْتَرِضُونَ عَلَى الْحَجَاجِ . فَاعْتَقَدْتُ أَنَّ الْخَيْرَ ارْتَفَعَ
إِلَيْهِمْ . وَكَثِيرًا مَا كَانُوا يَعْتَرِضُونَ عَلَى الْحَجَاجِ . فَاعْتَقَدْتُ أَنَّ الْخَيْرَ ارْتَفَعَ
إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ أَصْبَحَتْ قَاعًا صَفَصَفًا^(٩) مِنْ نَوْعِ الإِنْسَانِ، وَأَنَّ
الَّذِينَ نَرَاهُمْ هُمْ شَيَاطِينٌ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ؟

(١) الرمة : الجنة . (٢) الـكـافـلةـةـ : الـقـىـ تـكـفـلـهـ وـتـقـومـ عـلـىـ أـمـرـهـ .

(٣) الأزواد : جمع زاد . وهو ما يتخذ من الطعام للسفر .

(٤) أى في عرض البحر . (٥) القحط الذى أصاب مصر، وذكر في القرآن في سورة يوسف .

(٦) الشفاء : حرف كل شيء . (٧) الطعام : الطعام .

(٨) النظر الشرر : هو النظر بجانب العين دليلا على الإعراض أو الغضب .

(٩) الصفصف : المستوى الطمئن . والمراد : أنها خالية لا أحد بها .

وَقُصَارَى الْقَوْلِ إِنَّا فِي زَمْنٍ أَصْبَحَ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ فِيهِ كَالْقَابِضِ عَلَى
الْأَجْمَرِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .

وَمِنْ كِتَابِ لَهُ :

«أَكَتَبْتُ كِتَابًا هَذَا إِلَيْكُ ، وَنَفْسِي تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فِي عُلوِّهَا
وَارِتِفَاعِهَا نَظَرَ السَّلَاحْفَاءِ إِلَى الْأَجْدَلِ^(١) فَوَقَ شُرُوفَاتِ الْمَجْدَلِ^(٢) ، وَتَحْمِدُ ثُنْيَ :
لَوْ مُدَدِّلِي طَرِيقُ قَضْبَاهُ مِنَ الدَّهَبِ لَا الْحَدِيدِ وَمِنْ كَبَاتُهُ مِنَ الْيَوَاقِيتِ ،
وَسَائِقُ آلَتِهِ جِبْرَائِيلُ ، لِيُبَلْعَنِي بِلَدًا أَسَاكِنُ فِيهِ هَوْلَاءَ الْقَوْمَ ، لَفَضَّلْتُ
الْخُلُوسَ حَيْثُ أَنَا الآنُ ، أَكَتَبْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ
لَا أَظْلَمُ وَلَا أَظْلَمُ !»

١٢ - الشِّيخُ إِبْرَاهِيمُ الْيَازِجِيُّ^(٣)

كَتَبَ يَعْزِي بَعْضُ أَصْدَقَائِهِ :

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَانِ الْمَصَارِعِ^(٤) ، فَلَمْ يَصْحَبْ
دَهْرَهُ عَلَى غَرَةٍ^(٥) ، وَلَمْ يَفْتَرْ^(٦) ، مِنَ الْأَقْدَارِ بِفَتْرَةٍ^(٧) ، لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ الرَّزِيْئَةُ^(٨)

(١) الْأَجْدَلُ : بِكَسْرِ الْيِمِ وَفُتْحِ الدَّالِ : الْقَصْرُ .

(٢) يَعْزِي إِبْرَاهِيمُ الْيَازِجِيُّ مِنْ خَيْرِ عُلَمَاءِ الْلُّغَةِ وَالنُّحُوِّ وَالْأَدْبِ فِي هَذَا الْمَصْرِ . أَصْدَرَ بِاسْمِهِ بِجَلَّ
الْبَيَانِ وَالصَّيَاءِ . وَلَهُ مَوْلَافَاتٌ مُحَكَّمَةٌ فِي عِلْمِ الْلُّغَةِ وَالنُّقْدِ الْلُّغَوِيِّ . تَوْفِيقُ سَنَةِ ١٣٢٤ هـ .

(٤) الْمَصَارِعُ : الْمَهَالِكُ .

(٥) يَسْكُنُ : يَسْكُنُ .

(٦) الْفَتْرَةُ بِفُتْحِ الْفَاءِ : الْمَدْنَةُ وَمَا بَيْنِ النُّوَبَيْنِ مِنَ الْجَمِيْعِ .

(٧) الرَّزِيْئَةُ : الْمَصِيْبَةُ .

إِذَا اغْتَلَتْ ، وَلَمْ يَطْمَئِنَ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ^(١) ؛ فَإِنَّ الدَّهْرَ رَقْدَةً
وَهَبَّةً^(٢) ، وَإِنَّ لِلِّيَالِي كَمْنَةً^(٣) وَوَتْبَةً . وَمِثْلُكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبِادِئَ الْأَمْوَارِ
وَمَصَائِرَهَا^(٤) ، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا . وَإِنَّمَا الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ
أَطْوَارِ الْوُجُودِ ، وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُودِ . وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالْكَوْنِ
وَشَرَائِعِهِ ، وَالْكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ . إِنَّمَا هِيَ ذِكْرٌ لِمَنْ فَجَأَهُ الرُّزْءُ فَسَعَلَهُ ، وَحَلَّ
بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ . وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيزِ يَعْلَمُ بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ
الْمُبَاحِ ، وَمِنَ التَّأْسِيَةِ^(٥) مَا تَعْلَمُ مِنْ حَالٍ مُخَاطِبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ .
وَمَا أَخْلَقَنِي^(٦) بِأَنْ أَقُولَ : إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا عَلَى أَشْجَانِي^(٧) ،
وَنَكَأَ^(٨) مَا تَعَالَ^(٩) مِنْ قَرْحَةِ أَحْزَانِي . وَلِسَكِنِي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرَ إِلَى
حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ ، وَلَا أَبْلِي مَعَهَا بِسْلَمٍ وَلَا قِتَالٍ ، فَكَأَنَّمَا إِلَيَّاً عَنِي
أَبُو الطَّيْبِ حَيْثُ قَالَ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ^(١٠) حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشاءِ^(١١) مِنْ نِبَالِ^(١٢)
فَصَرِّتُ إِذَا أَصَابَتِنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتُ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ^(١٣)

(١) ي يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له، وإن طال أمد السلامة، لم تعظم عليه المصيبة إذا حللت لأنها دائمة داخلة في حسابه.

(٢) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم .

(٣) ي يريد بالكمنة السكون .

(٤) مصائر الأمور : غياتها .

(٥) التأسيية : التصريح والتعزية .

(٦) ما أخلفني : ما حقني وأولاني .

(٧) الشجن بفتح الشين والجيم : الهم والحزن، وجده أشجان .

(٨) نكا القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

(٩) تعاليل : قارب البرء .

(١٠) الأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة .

(١١) الغشاء : الفطام .

(١٢) النبال : جمع نبلة ، وهي السهم .

(١٣) النصال : جمع نصل بفتح النون وسكون الماء ، وهو حديدة السهم وطرفه .

وكتب إلى صديق له :

مَهْمَا زِدْتَنِي مِنْ جَمِيلَكَ الْمَأْلُوفُ، وَصَنِيعَكَ^(١) الْمَعْرُوفُ. فَمَا أَزِيدُكَ عَلَىٰ
مَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ حَالِي مِنَ الاعْتِرَافِ بِتَطْوِيلِكَ^(٢)، وَالثَّنَاءُ عَلَىٰ تَفَضُّلِكَ^(٣)
لَا سِيمَا فِيهَا أَبْدَيْتَ مِنَ الْحَفَاوَةِ^(٤) وَالْأَطْفَلِ فِي جَانِبِ أَخِي وَأَخِيكَ النَّازِلِ
فِي كَنْفِ^(٥) تَدْبِيرِكَ، الْمَوْكُولِ إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ، وَهِيَ يَدُ^(٦) لَكَ حَمَلَتُ
جَمِيلَهَا عَلَىٰ عَاتِقِ^(٧) فَوْقَ مَا أَنْقَلَتْهُ أَيْدِيكَ السَّابِقَةِ، وَأَنْطَافُكَ^(٨) السَّالِفةَ.
وَلَيْسَ لَأَمْلُ لَهُ بِمُؤَازَرِكَ^(٩) نِجْحَمًا لَا يَعْتَرِضُهُ إِخْفَاقٌ مَسْعَىٰ، وَفَوْزًا
لَا يَصْدُرُ^(١٠) عَنْهُ طَيْشُ رَأْيٍ. وَأَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ وَلَهُ السَّلَامَةَ وَالتَّوْفِيقَ بِعِنْدِهِ^(١١)
وَطَوْلِهِ^(١٢).

١٣ - مصطفى باشا كامل^(١٣)

من خطبة له :

أَيُّهَا السَّادَةُ : إِنَّكُمْ بِاِجْتِمَاعِكُمُ الْيَوْمَ هَذَا الْاجْتِمَاعَ الْوَطَنِيَّ تَرْفَعُونَ
كَثِيرًا مِنْ مَقَامِ الْوَطْنِيَّةِ الْمَصْرِيَّةِ وَتَخْفَفُونَ مِنْ آلَامِ مَهْرَ العَزِيزَةِ الَّتِي قَاسَتْ

(١) الصنيع المكرمة . (٢) التطول : التفضل .

(٣) الحفاوة بالرجل : إكرامه وإظهار السرور به .

(٤) الكنف بفتح السكاف والنون : الظل والجانب . والمراد هنا : الرعاية .

(٥) اليـد : النـعمـة .

(٦) العائق : ما يـعـوقـ النـكـبـ والعـنـقـ .

(٧) الألطاف ، جمع لطف ، بفتح اللام والطاء ، وهو الإحسان والإتحاف .

(٨) المؤازرة : المعاونة .

(٩) يصدر عنه : أى لا يكون منه .

(١٠) المن : الملة .

(١١) الطول : الفضل .

(١٢) خطيب وسياسي ووزعيم مصرى ، تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف إلى مقاومة الاحتلال الانجليزى بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدةين آخرين : أحدهما بالفرنسية ، والأخرى بالإنجليزية . وتنقل في بلدان أوروبا داعيًّا للوطن وكان فصيحةً مؤثرةً في كتاباته وخطاباته ، مات شاباً سنة ١٣٢٦ھ (سنة ١٩٠٨م) .

وَتَقَاسِي أَشَدَّ الْعَذَابِ عَلَى مَشْهُدِ مِنْكُمْ يَا أَعَزَّ بَنِيهَا وَيَا نُخْبَةَ أَبْنَاوْهَا . فَكُلُّ اجْتِمَاعٍ وَطَنٌ تُذَكَّرُ فِيهِ مَصْرُ وَيَطَالُ بِحَقْوَفَهَا ، وَيُعْلَمُ أَبْناؤُهَا بِإِخْلَاصِهِمْ لَهَا ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِرْهَمٌ لِجَرَاحِهَا وَدَوَاءُ لِدَائِهَا فَإِذْ كَرُوهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ فِي ذَكْرِهَا ذَكْرًا لِآلامِهَا ، وَذَكْرًا لِآلامٍ تَجُرُّ حَتَّمًا إِلَى ذِكْرِ عَوَامِلِ الشَّفَاءِ . اذْكُرُوهَا كَمَا يَذْكُرُ الْوَلَدُ الْخَنُونُ أُمَّةَ الشَّفِيقَةِ ، وَهِيَ عَلَى سَرِيرِ الْمَرَضِ وَالْعَنَاءِ . اذْكُرُوهَا بِآلامِهَا وَإِنْ كَانَ غَيْرُكُمْ يَذْكُرُ بِالَّادَةِ بِعَجْدَهَا وَرِفْعَةَ شَأْنِهَا . اذْكُرُوهَا فَإِنَّكُمْ مَادُمْتُمْ مُقْدَرِينَ لِمَصَابِهَا عَارِفِينَ بِحَقِيقَةِ آلامِهَا ، دَامَ لِأَمْلَ وَطِيدًا^(١) فِي سَلَامَتِهَا وَدَامَ الرَّجَاءِ . اذْكُرُوهَا ، ثُمَّ الْمُسْتَحِيلَ أَنْ يَرَى الْعَافِلُ النَّارَ فِي دَارِهِ ، وَالْدَاءِ فِي شَخْصِ أُمِّهِ ، وَيُهُمِّلُ النَّارَ وَيُهُمِّلُ الدَّاءَ .

شِمْ قَالَ وَهُنَاكَ فِئَةٌ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ لَا أَنْكُرُ إِخْلَاصَ رِجَالِهَا لِلْوَطَنِ الْعَزِيزِ ، وَلَكِنَّ أَنْكُرُ عَلَيْهِمِ الْيَأسَ الَّذِي يَتَظَاهِرُونَ بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ . فِيهِمْ مَا عَمِلُوا وَلَا يَعْمَلُونَ لِلْبَلَادِ عَمَلاً نَافِعًا ، وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا الْيَأسَ عَلَةً لِعدِمِ الْعَمَلِ وَعَلَةً لِالْكَسْلِ ! فَإِنْ سَأَلْتُهُمْ لِمَ لَا تَقْوُمُونَ بِعَمَلٍ عُمُومِيًّا نَافِعًّا لِلْبَلَادِ ؟ أَجَابُوكَ « نَحْنُ يَائِسُونَ مِنْ مُسْتَقْبَلِ الْوَطَنِ ، مُعْتَقِدُونَ اظْلَمَةَ الْأَيَّامِ الْآتِيَّةِ » فِيَاللهِ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ طَبِيبٌ أَنْ يَنْجُوكُمْ عَلَى عَلِيلٍ بَعْدِ لِشَفَاءِ قَبْلِ أَنْ يَفْحَصَ دَاءَهُ وَيُعْطِيهِ الدَّوَاءِ ؟ عَلَى أَنَا نَرَى الْكَثِيرَ مِنْ لَا طَبِيبٌ لَا يَيَّاسٌ أَبْدَأَ مِنْ شَفَاءِ الْمَرِيضِ حَتَّى فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاةِهِ . فَكَيْفَ

(١) وَطِيدًا : قَاتِلًا فَوْيَا

يَيَّاسُ رَجَالٌ مِنْ بَنِي مَصْرَ مِنْ مُسْتَقْبَلِ الْبَلَادِ؟ وَهُمْ إِنْ كَانُوا قَدْ خَبَرُوا دَاءَ
مَصْرَ فَيَعْلَمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ إِلَى الْيَوْمِ مَا قَدَّمُوا لَهُمُ الدَّوَاءَ.

كَيْفَ نَيَّاسُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْمُسْتَقْبَلُ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَكَثِيرًا مَا تَأْتِي
الْحَوَادِثُ بِخَلَافِ الْمُنْتَظَرِ وَبِغَيْرِ حِسَابٍ؟

هِيَ النُّفُوسُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي يُخْلَقُ عِنْدَهَا الْأَمَلُ بِكَلْمَةٍ أَوْ بِتِلْفِرَافٍ! ثُمَّ
يَسْتَوِي عَلَيْهَا الْيَيَّاسُ بِكَلْمَةٍ أَوْ بِتِلْفِرَافٍ! أَمَّا النُّفُوسُ الْعَالِيَّةُ الْكَبِيرَةُ
فَيَدُومُ فِيهَا الْأَمَلُ مَا دَامَ الدُّمُّ فِي الْعُرُوقِ وَمَا دَامَتِ الْحَيَاةُ.

وَأَيُّ حَيَاةٍ تَرْضَاهَا النُّفُوسُ الشَّرِيفَةُ مَعَ الْيَيَّاسِ، أَيَّ جُمْعٍ لَرَهْ فِي جِسْمٍ
وَاحِدٍ لِلْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ؟ إِذَا الْيَيَّاسُ مَوْتٌ حَقِيقَةٌ وَأَيُّ مَوْتٌ؟

كَيْفَ نَيَّاسُ وَنَحْنُ جَمِيعًا عَالَمُونَ بِأَنَّ مَا يَظْهَرُ طَوِيلًا فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ
هُوَ قَصِيرٌ فِي حَيَاةِ الشَّعُوبِ، فَعُشْرُ مِنَ السَّنَوَاتِ فِي حَيَاةِ الإِنْسَانِ طَوِيلَةٌ
حَقًّا، وَلَكِنَّهَا فِي حَيَاةِ الْأَمَةِ قَصِيرَةٌ جَدًّا، عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْيَائِسُونَ مُعْتَقِدِينَ
بِصَحةِ أَفْكَارِهِمْ، فَعَارَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا فِي الْأَمَةِ بِوَظِيفَةِ تَبَيِّنِ هُمُ الْأَمِيلُونَ،
وَالْأَمِيلُونَ فِي الْبَلَادِ كَثِيرُونَ، بَلْ الْأَمَمَةُ كُلُّهُمْ مُؤْمَلَةٌ خَيْرًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَإِنْ
لَمْ يَظْهُرْ إِلَى الْآنِ أَعْمَالُ الْأَمِيلِينَ فَسَتَظْهُرُ بَعْدَ قَلِيلٍ، وَسَتَرَى الْأَمَةُ الْمَصْرِيَّةُ
وَأَمَمُ الْعَالَمِ أَجْمَعُ أَنَّ لِلْوَطَنِ الْمَصْرِيِّ أَبْنَاءَ مُخَلِّصِينَ يَقْدِرُونَ الْوَطَنِيَّةَ قَدْرَهَا،
وَيَعْرِفُونَ لِمَصْرَ حُقُوقَهَا.

وَلَا غَرَّ وَفَإِنْ سُبِّلَ خِدْمَةُ الْوَطَنِ عَدِيدَةُ، وَإِنَّ أَهْمَّهَا إِعْلَانُ الحَقِيقَةِ
فِي كُلِّ بَلْدَةٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ. فَالْحُرْيَةُ بَنْتُ الْحَقِيقَةِ، وَمَا انتَشَرَتِ الْحَقِيقَةُ
فِي أُمَّةٍ إِلَّا وَارْتَفَعَتْ كَلِمَتُهَا، وَعَلَا شَأْنُهَا. فَالْحَقِيقَةُ نُورٌ سَاطِعٌ إِذَا
اَنْتَشَرَتْ أَخْتَفَى الظُّلْمُ وَالظُّلْمَةُ، وَانْتَشَرَتْ الْحُرْيَةُ وَالْعَدْلُ. فَكَلَّا أَنَّ الْأَفْرَادَ
لَا تُسْلِبُ حُقُوقُهُمْ، وَلَا يَتَعَدَّى الْأَصْوَاصُ عَلَى أَمْمَتَهُمْ، إِلَّا فِي ظَلَامِ الَّلَّيْلِ
الْحَالَكِ، فَكَذَلِكَ شَأْنُ الْأَمْمَ، لَا تُسْلِبُ حُقُوقُهَا، وَلَا يَعْتَدِي الْعَدُوُّ عَلَى
أَمْلَاكِهَا إِلَّا إِذَا كَانَتْ الْحَقِيقَةُ مَجْهُولَةً فِيهَا، وَكَانَتْ هِيَ عَاشَةً فِي الْجَهَلِ
وَالظُّلْمَ .

وَمِنْ خطبة له ألقاها بالإسكندرية في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م :

« بِلَادِي ! بِلَادِي ! لَكَ حُبِّي وَفُؤَادِي ، لَكَ حَيَايِي وَوُجُودِي ، لَكَ دَمِي
وَنَفْسِي ، لَكَ عَقْلِي وَلِسَانِي ، لَكَ لُبِّي وَجَنَانِي ، فَأَنْتِ أَنْتِ الْحَيَاةُ ، وَلَا حَيَاةَ
إِلَّا بِكِ يَا مِصْرَ !

« يَقُولُ الْجَاهَلَةُ وَالْفَقَرَاءُ فِي الْإِدْرَاكِ إِنِّي مُتَهَوِّرٌ^(١) فِي حُبِّهَا ، وَهَلْ
يُسْتَطِيعُ مِصْرِي أَنْ يَتَهَوَّرَ فِي حُبِّ مِصْرَ ؟ إِنَّهُ مِنْهَا أَحَبَّهَا ، فَلَا يَبْلُغُ الدَّرَجَةَ
الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا جَمَائِهَا وَجَلَالُهَا وَتَارِيخُهَا ، وَالْعَظَمَةُ الْلَّا ثَقَةُ بِهَا .

« أَلَا أَيُّهَا الْلَّاهُمَّ أَنْظُرُوهَا وَتَأْمُلُوهَا ، وَطُوفُوهَا ، وَاقْرَئُوهَا صُحْفَهَا
وَاسْأَلُوا الزَّائِرِينَ لَهَا مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ : هَلْ خَلَقَ اللَّهُ وَطَنَّا أَعْلَى مَقَاماً ،

(١) التهور : الوقوع في الأمور بغير مبالغة ، ويريد به هنا : التهلك والبالغة والإفراط .

وَأَسْمَى شَانًا، وَأَجْلَ طَبِيعَةً، وَأَجَلَّ آثَارًا، وَأَغْنَى تُرْبَةً^(١)، وَأَصْفَى سَماءً،
وَأَعْذَبَ مَاءً، وَأَدْعَى لِلْحُبِّ وَالشَّغْفِ^(٢) منْ هَذَا الْوَطَنِ الْعَزِيزِ؟

أَسْأَلُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ يُحِبُّكُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: إِنَّ مِصْرَ جَنَّةُ الدُّنْيَا، وَإِنَّ
شَعَبَهَا الَّذِي يَسْكُنُهَا وَيَتَوَارَهَا لَا كَرْمُ الشَّعُوبِ إِذَا أَعْزَّهَا، وَأَكْبَرُهَا
جِنَانِيَّةً عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِهِ إِذَا تَسَامَحَ فِي حَقِّهَا، وَسَلَّمَ أَزْمَتَهَا^(٣) لِلْأَجْنبِيِّ.

إِنِّي لَوْلَمْ أُولَدْ مِصْرِيًّا لَوَدَدْتُ أَنْ أَكُونَ مِصْرِيًّا؟

قَدْ يَرَى السُّفَهَاءُ وَالظَّاهِشُونَ أَنَّ الْأَنْتَسَابَ لِشَعْبٍ مُسْتَعْبَدٍ كَالشَّعْبِ
المِصْرِيِّ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِإِنْسَانٍ، وَلَكِنْ أَئِ شَرْفٌ يَطْمَعُ فِيهِ الْحُرُثُ أَكْبَرُهُ
مِنَ الْعَمَلِ لِإِحْيَايَ الْأُمَّةِ الَّتِي سَقَتَ الْأُمَّ كَافَةً فِي الْعِلْمِ وَالْمَدِينَةِ وَالْأَدَبِ؟
أَئِ رِفْعَةٌ يَسْعَى الشَّرِيفُ إِلَيْهَا أَسْمَى مِنْ إِنْهَاضِ شَعْبٍ كَانَ أَسْتَاذَ الشَّعُوبِ
الْبَشَرِيَّةِ، وَمُرْبُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ أَئِ سُوْدَدِ^(٤) تَرْمِي النُّفُوسُ الْأَبِيَّةُ إِلَيْهِ
أَعْلَى مِنْ إِخْرَاجِ الْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَإِحْلَالِهِ الْمَسْحَلَ
الْأَوَّلَ بَيْنَ الْأَوْطَانِ الْأُخْرَى الَّتِي كَانَتْ فِي الدَّجَنَةِ^(٥) الْحَالِكَةِ^(٦) يَوْمَ
كَانَتْ بِلَادُنَا مَشْرِقاً لِلْعَرْقِ وَانْ؟

(١) التربة : التراب ويراد بها الأرض وجودتها .

(٢) الشفف : شدة الحب وغشكه .

(٣) الأزمة : جمع زمام ، وهو الحيل تقوده ، و المراد بأرميه مصر هنا : شؤونها العامة .

(٤) السوّدد : الشرف والحمد .

(٥) الدجنة : الظلمة .

(٦) الحالكة : الشديدة الظلما .

لَيْتَ شِعْرِي^(١) ! أَى لَذَّةٍ وَسَمَادَةٍ وَمُكَافَاةٍ يَظْلِمُهَا الْوَطَنُ الْمِصْرِيُّ
أَكْبَرُ مِنْ اشْتِرَاكِهِ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِي هُوَ أَجَلُ عَمَلٍ يَرَاهُ الْعَالَمُ
فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينِ ؟

إِنَّ الْمَكْسَبَ الْأَدَبِيَّ لِلْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ مِنْ هَذِهِ الْخِدْمَةِ يَرْبُو عَلَى
أَعْمَابِهِ^(٢) وَمَجْهُودَاتِهِ بِكَثِيرٍ .

١٤ - الشِّيخُ أَحْمَدُ مُفتَاحٌ^(٣)

كَتَبَ فِي التَّهَادِيِّ :

الْهَدِيَّةُ (غَمَرَكَ اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ) تَبْسُطُ يَدَ الْمَوَدَّةِ وَتَدْرِي أَخْلَافَ
الْقُرَبِ^(٤) ، وَتَغْرِسُ مِنْ بَيْنِ الْمُتَحَايِّنِ مِنَ الْاِنْتِلَافِ ، بِقَدْرِ مَا تَقْطَعُ يَدَنَّهُمَا مِنَ
شَجَرِ الْخِلَافِ . وَمَا أَنَا فِيهَا أَهْدِيَهُ إِلَيْكَ إِلَّا كَمَسْتَبْضِعٍ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ
خَيْرٍ^(٥) ، أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَاءِ لِلْبَحْرِ ، وَالضَّوْءِ لِلْبَدْرِ ، وَالْمُلْكَ لِسُلَيْمَانَ ،
وَالْمَالَ لِقَارُونَ ، وَالْحَلْمَ لِأَخْنَفَ ، وَاللَّذَّكَ لِإِيَّاسِ وَالتَّفْسِيرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ .
وَمَا ذَاكَ إِلَّا كِتَابٌ كَمَا تَرَاهُ ضَرَبَ فِي الْإِحْكَامِ بِسَهْمٍ ، وَوَعَى مِنَ الْأَحْكَامِ
مَا خَلَتْ مِنْهُ مُفْعَمَاتُ الْأَسْفَارِ ؛ وَمُوجَزَاتُ الرَّسَائِلِ ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ :

« كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » :

(١) لَيْتَ شِعْرِي : لَيْتَنِي أَشْعُرُ . (٢) أَعْمَابُ : جَمْعُ تَعْبٍ .

(٣) يتصل نسبه بالعرب ؟ نشأ بمصر ودرس بالأزهر ؟ وعني بالأدب ، ثم دخل دار العلوم حتى إذا
خرج منها اشتغل في الصحافة والتدرис بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله عدة مؤلفات ،
وطريقته في الكتابة تخضع للسجع القصدير مع القصد في استعمال البديع .

(٤) الإدار : الإكثار من الابن . والاختلاف : جمع خلف ؟ وهو لذوات الخف كالشدى للإنسان .
والقرب : الصلات . وللمعنى أن الهدايا تقوى صلة الأخ بأخيه .

(٥) استبضم تمرأ . حمله بضاعة — وأرض خير مشهورة بالتمر ، وعنها يصدر .

تَرِينُ مَعَانِيهِ الْفَاظَةُ وَالْفَاظَةُ زَانِكَاتُ الْمَعَانِي
 عَلَى أَنِّي وَإِنْ تَطَفَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَسُقْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ مُزْدَافِاً^(١) إِلَى
 جَنَابَكَ الرَّحْبِ ، وَمَقَامِكَ الْأَسْنَى^(٢) ، فَقَدْ أَصْبَتُ كَبَدَ الصَّوَابِ ، وَوَضَعَتُهُ
 حَيْثُ بَعْرُوهُ أَهْلُوهُ ، وَيَتَقَبَّلُهُ مِنْ بَادِلِهِ عَالِمُوهُ ، عِلْمًا بِأَنَّكَ عِمَادُ الْعِلُومِ ،
 وَأَسَاسُ الْفَضَائِلِ ، لَا تُغَادِرُ شَارِدَةً إِلَّا وَعَيْتَهَا ، وَلَا نَادِرَةً إِلَّا رَوَيْتَهَا ، وَإِلَّا
 لَوْ كَانَ يُهْدَى عَلَى قَدْرِي وَقَدْرِكُمْ لَكُنْتُ أَهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

١٥ - الشِّيخُ عَلَى يُوسُفٍ^(٣)

كتُبَ تَحْتَ عَنْوَانَ « لَا تَعَصِّبَ فِي مَصْرَ » :

التَّعَصِّبُ بِالْمَعْنَى الْمُعْرُوفِ فِي الْغَرْبِ عَنْ أَهْلِ الشَّرْقِ ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى
 عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، هُوَ ابْنِيَّاثُ رُوحِ الْعَدَاءِ وَالْبَغْضَاءِ مِنَ الْآخْرِينَ
 صِدَّ الْأَوَّلِينَ ، ابْنِيَّاثًا يَحْمِلُ عَلَى الْاعْتِدَاءِ عَالِيهِمْ حِينًا بَعْدَ حِينٍ .

التَّعَصِّبُ بِهَذَا الْمَعْنَى رِذْلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ الَّتِي يَنْهَا عِنْهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ ،
 وَالْقَوَافِنُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ ، وَفِي نَظَرِ الْأُورُوبِيِّينَ هُوَ التَّوْحِشُ الَّذِي يَفْتَنُ بِنَفْوُسِ
 الْأَبْرِيَاءِ كَمَا ثَارَ ثَأْرُهُ ، أَوْ أَشْبَهُ بِالْعُولِ الْكَاهِنِ^(٤) الَّذِي يَنْدِفعُ بِعَمَالَيَّةِ
 فِيَفْتَرِسُ كُلَّ مَا فِي طَرِيقِهِ مِنْ نُهُوسِ الْمُبَشَّرِ .

(١) ازْدَلْفُ إِلَيْهِ : تَقْرِبُ .

(٢) الْأَسْنَى : الْأَرْفَعُ .

(٣) أَصْلَهُمْ بَلْدَةً بِصُورَةِ بَحْرِ جَا ، نَهَا نَهَا دِينِيَّةً ، وَدُرُسٌ بِالْأَزْهَرِ ، وَلَكِنَّهُ عَنِ الْأَدْبُرِ ،
 وَخَرَجَ حَسْفِيًّا بِأَرْعَادًا أَسْلُوبٌ قَوِيٌّ رَائِعٌ ظَهَرَ فِي « الْوَيْدِ » صَحِيفَةِ الْمَصْرِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَنَالَ مِنْزَلَةً سَامِيَّةً
 بِقوَّةِ أَسْلُوبِهِ ، وَشَدَّدَ نَفْسَهُ ، وَذَكَاءً جَنَابَهُ تَوَفَّ سَنَةُ ١٣٣١ هـ .

(٤) الَّذِي يَكْشِرُ عَنْ أَنْيَابِهِ .

التعصبُ عَلَى هذا تَجْمُوعٍ أرواحٍ شريرةٍ لِأَنَّظَامَ هَافِي ثَوْرَانِهَا وَعُدُوانِهَا،
نَعْوذُ بِاللهِ أَنْ تُرْزَأَ أُمَّةً بِهَذَا الْبَلَاءُ الْعَظِيمِ ^(١).

قالوا إِنَّ الْمَصْرِيِّينَ مُتَعَصِّبُونَ تَعَصُّبًا دِينِيًّا . وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُمْ يُكَرِّهُونَ
الْمُخَالِفِينَ لِهِمْ فِي الدِّينِ كَرَاهَةً عَمْيَاءً يَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ بِرُوحِ الْبَغْضَاءِ الْمُتَنَاهِيَّةِ،
كَمَّا سَنَحَتْ لَهُمْ فُرْصَةُ الْإِفْتِرَاسِ أَوْ اسْتَهْزَئُهُمْ صَائِحَ.

فِي الْبَلَادِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ أَدِيَانٌ مُخْتَلِفَةٌ يَتَجَاوَرُ أَهْلُهَا فِي الْمَنَازِلِ ،
وَيَتَشَارَكُونَ فِي الْمَرَافِقِ ^(٢) ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الْأَعْمَالِ ، فَلِمْ تَكُنْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
وَالْأَقْبَاطِ تِلْكَ الرُّوحُ الشَّرِيرَةُ . وَلَوْ كَانَتْ فِي فَطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ فَطْرَةِ
الْفَرِيقَيْنِ لِلَّا شَأْتَ ^(٣) الْأَكْثَرِيَّةُ الْأَقْلَيَّةُ فِي عُصُورٍ مَاضِتْ ، وَخُصُوصًا
فِي عُصُورٍ كَانَتِ الْجَهَالَةُ فِيهَا سَائِدَةً ، وَكَانَ بَعْضُ الْحَكَامِ مِنَ الْمَالِيِّكِ
وَغَيْرِهِمْ يَبْذُرُونَ بِذُورَ الْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ لَا لِخَدْمَةِ دِينِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ ،
وَلَكِنْ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى مَذْشُؤُهَا الشَّهْوَاتُ وَالْمَطَامِعُ . وَلَكِنَّ التَّوَارِيخَ
تَدْلِي أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ عَاشَا عَلَى الْوِئَامِ ^(٤) وَالسَّلَامِ فِي كُلِّ الظَّرُوفِ أَوْ أَكْثَرِهَا.
وَفَدَ عَلَى الْقُطْرِ الْمِصْرِيِّ مُنْذُ أَوَّلِ عَهْدِ الْمَرْحُومِ مُحَمَّدِ عَلَى باشا الْكَبِيرِ وُفُودٌ
مِنْ كُلِّ الطَّوَافِ الْمَسِيحِيَّةِ ، غَرْبِيَّةً وَشَرْقِيَّةً : مَنْ آرَمَنَ وَأَرْوَامَ وَسُورِيَّينَ
وَفَرْنَسَاوِيَّينَ وَطَلِيَّانِيَّينَ وَإِنِكَالِيزَ وَنَمْسَاوِيَّينَ وَأَمْرِيَّكَانِيَّينَ : مِنْ بُرُوقِسْتَانَ

(١) تُرْزَأُ : تصاب .

(٢) المَرَافِقُ : يَرِيدُ شَؤُونَ الْمَاعِشِ .

(٤) أَى أَفْتَهَا .

(٤) الْوِئَامُ : الْوَفَاقُ .

وكانوا ليك وأرثوذكس وغير ذلك من علماء وتجار وصناع وعمال^(١) وهم^(٢) متشردين، فلقي الكل في مصر صدراً رحيباً.

كان منهم الموظفون في كل مصلحة حتى تولى نواباً باشا رئاسة النظار في مصر، وكان قائماً خديعه، ورئيس الاحتفال بموكب المحمول الشريف، فهل يوجد في أمة غير الأمة المصرية المسلمة مثل هذا التساهل فيؤمن احتفالاً دينياً مسيحياً مسلماً أو غير مسيحي؟

وكان من علمائهم^(٣) الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والكتشيفون، فهل الأمة التي تربى أبناؤها على أيدي الأساتذة من غير دينها، تعد متعصبة؟ و كان التجار على ما يحبون من الرحب والسعة وحسن القبول، فضربوا في البلاد بتجارهم من غث وسمين، وجيد ورديء وخالص ومشوش، حتى صارت مصر من أوسع أسواق متاجر أوروبا ومعاملها التي وجدت إقبالاً من الأمة هائلأ^(٤).

وهو لاء بعض الأجانب يقيمون الأكواخ الصغيرة الحقيقة لبيع الخمور الرديئة في كل قرية من قرى القطر، مما سبقت^(٥) وقل عددها، أو يربون الخنازير ويتركون شيئاً فشيئاً حتى يكون الصملوك منهم في بعض سنوات صاحب القرية ومزارعها ومداين أهلها وسيدهم، فهل هؤلاء هم المتعصبوون الذين يخشى من شرهم في وادي النيل على الأوريين؟

(١) عملة : جمع عامل.

(٢) المهل : من لا عمل لهم ولا رئاسة عليهم.
(٣) أى من العلماء غير المسلمين. (٤) الهائل يريد بها هنا : العظيم ، أو الكبير . وأصلها : من هال يهول : إذا راع وأفزع ، وكان الإقبال لعظمته يهول ويروع . (٥) سبقت : بدت .

١٦ — كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله^(١)

إلى بعض الأفضل يطلب وده

كما أن شغف^(٢) الجنان^(٣)، بالحسن والإحسان، تكون داعيّة المشاهدة
وتسريحة الانظار في محييا^(٤) الكمال، ومجتلى^(٥) الجمال. فترى العين من تملّك
الفرة^(٦) ما يملؤها قرة^(٧)، فكذلك السّماع يستدعى هذا الشّغف، فيتأثر
الفوادُ بما يشئُ^(٨) الأذن بما تهديه إليه طرائف^(٩) الأخبار، حتى كان حاسّةً
السمع والبصر في ذلك صنوان^(١٠)، بل أخوان، في هيكل هذا الجنان^(١١).

* * *

آلا وإن محسنَ السيدِ الأجلِ لما سارت بها الرُّكْبَانِ، وأنتَ علَيْها
كُلُّ لسانِ، مَا يَنْ أَخْلَقِ أَبَهَ من الرَّوْضِ النَّضِيرِ^(١٢) وأَعْرَاقِ^(١٣) أَشَهَى
مِنْ عُذَيْبِ النَّمِيرِ^(١٤) قد احتلَّتْ من فُوادي لا أقولُ مُنْزَلًا رَحِيبًا، ولا وادِيًا
خَصِيبًا؛ بل مُنْزَلَةً شِمَاء^(١٥) وَدَارَةً^(١٦) عَلَيْكَ^(١٧). وأوجًا بطْوَالِهَا السَّعِيدَة يسعد

(١) ولد بالإسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها، واشتغل بالصحافة في تونس ومصر. ثم مدرساً ومحفظاً للمعارف، وقد توفي سنة ١٩١٨ م.

(٢) الشّغف : شدة الحب. (٣) الجنان بالفتح : القلب.

(٤) المحييا بضم الميم وتشديد الياء : الوجه. (٥) مجتلة : منظره.

(٦) الفرة : الوجه.

(٧) قرت العين : جف دمعها وبردت من السرور. والاسم منه القرة بضم القاف.

(٨) يشنف الأذن : يطربها وأصله من ليس الشّنف وهو القرط.

(٩) الطرائف : الأحاديث المستملحة. (١٠) الصنوان : الأخوان الشقيقان.

(١١) الجنان بضم الجيم : الجسم. (١٢) النضير : الحسن.

(١٣) الأعراق هنا : بمعنى الطابع والصفات.

(١٤) النمير : السكين من الماء.

(١٥) شماء : عالية.

(١٦) الدارة : الدار، ويريد بها المكانة.

(١٧) الأوج : الملو.

وَيَلُوحُ بِهَا مِنْ ذِكْرِهِ كُلَّ حِينٍ فَرَقَدَ^(١). فَلَمْ أَنْشَبْ^(٢) أَنْ قَدَّمْتُ كِتَابِي
هَذَا لِمَوْلَايَ بَيْنَ يَدَى الْلَّاقَاءِ عَلَهُ أَنْ يَسْمَعَ بِهِ الزَّمَانُ، وَتُشَعِّرَ^(٣) عَنْهُ الْلَّيَالِي
وَالْأَيَّامُ، لِيَتَاحَ^(٤) لِي رَأْيُ الْفُوَادِ بِمَا أَرَوَيْهُ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ الْخَيْلِ الَّذِي سَمِعَهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ الْخَيْرَ، وَقَالَ لَهُ : مَا وُصِّفَ لِي أَحَدٌ فَرَأَيْتُهُ
إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا وُصِّفَ لِي سِوَالُكَ ، وَإِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ (الْحَلْمُ
وَالْأَنَاءُ^(٥)) مُقْتَدِيًّا بِالْإِمَامِ مُحَمَّدِ جَارِ^(٦) اللَّهِ فِي تَقْدِيمِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ
عَلَى مَا أَنْشَدَهُ لِيَاهُ الشَّرِيفِ ابْنِ الشَّجَرَى أَوْلَ مَا لَقِيَهُ، وَكَانَ أَقْدَ تَحَابَّا بِالسَّمَاعِ :
كَانَتْ مُسَأَلَةُ الرُّكْبَانَ تُخْبِرُنَا عنْ جَابِرِ بْنِ رَبَاحٍ أَطْيَبَ الْخَبَرِ
حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي

١٧ - المرحوم حفني بك ناصف^(٧)

كتب إلى الفاضل السيد توفيق البكري شيخ مشائخ الطرق الصوفية :
كتابي إلى السيد السندي ولا أجشمه^(٨) الجواب عنده فذلك مالاً أنتظره
منه ، وإنما أسأله أن يذشط إلى قراءته ، ويتنزل إلى مطالعته ، وله الرأي
بعد ذلك أن يمحاسب نفسه ويزكيها ، ويحكم علىها أو لها .
فقد تنفع الله كري إذا كان هجرهم دلالة ، فاما إن مللاً فلما نفعا

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي ؛ وهو فرقان .

(٢) لم أنشب : لم ألبث .

(٣) تشعـرـ : تكشفـ .

(٤) يـتـاحـ لـيـ . يـتـهـيـ لـيـ .

(٥) الأنـاءـ : الـوقـارـ وـالـحـلـمـ .

(٦) هو الإمام الرخيصي العالم المفسر المشهور .

(٧) اقرأ ترجمته في شعره .

(٨) جـسـمـهـ الـأـمـرـ : كـلـفـهـ لـيـاهـ .

زُرْتُ السَّيِّدَ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَى لِقَائِهِ، كَجِرْهِ عَلَى بِقَائِهِ، وَكَافِي^(١)
بِشَهْوَدِه^(٢)، كَشَغَفِ^(٣) بِوُجُودِهِ، فَقَدْ بَعْدَ وَاللَّهِ عَمَدَ التَّلَاقُ، وَطَالَ أَمْدُ
الفَرَاقِ، وَتَصَرَّمَ^(٤) الزَّمَانُ، وَأَنَا مِنْ رُؤْيَتِهِ فِي حِرَمَانِ، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ خَرَجَ
لِتَشْيِيعِ^(٥) زَائِرًا، وَهُوَ عَمَّا قَلِيلٍ حاضِرٌ؛ فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَهُ؛ وَتَرَقَبْتُ طُلُوعَهِ،
وَلَمْ أَزَلْ أَعْدُ اللَّحَظَاتِ، وَأَسْتَطِيلُ الْأَوْقَاتِ حَتَّى بَرَغَتِ الْأَنْوَارُ؛ وَارْتَجَ
صَحْنُ الدَّارِ^(٦) وَظَهَرَ الْاسْتِبْشَارُ عَلَى وُجُوهِ الزُّوَّارِ، وَجَاءَ السَّيِّدُ فِي مَوْكِبِهِ،
وَجَلَالَةٌ مُخْتَدِه^(٧) وَمَنْصِبِهِ، فَقُمْنَا لِاسْتِقبَالِهِ، وَهَيْنَنَا^(٨) بِكَالَّهِ؛ فَمَرَّ يَتَعَرَّفُ
وَجُوْهَ الْقَوْمِ حَتَّى حَادَانِي، وَكَبَرَ عَلَى عَيْنِهِ أَنْ تَرَانِي؛ فَفَادَرَنِي وَمَنْ عَلَى
يَسَارِي، وَأَخَذَ فِي السَّلَامِ عَلَى جَارِي، وَجَرَ السَّلَامُ الْكَلَامُ، وَتَكَرَّرَ
القُمُودُ وَالْقِيَامُ، وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ أُوْهِمُ جَارِي، أَنِّي فِي دَارِي، وَأَظْهِرُ لِلنَّاسِ
أَنَّ شِدَّةَ الْأَلْفَةِ، تُسْقِطُ الْكَلْفَةَ؛ وَمَرَ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَمَّاِي ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ، وَمِنَ الْفَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدِرِكْ مَا فَاتَ، وَأَغْرَبَ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ
لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ أَرْبَعَةً؛ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْحُجْرَةِ فَدَخَلُوا مَعَهُ فَلَمْ يَبْقِ إِلَّا الْقِيَامُ،
وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ.

تَرَوْنَ الدِّيَارَ وَلَمْ تَمُوجُوا كَلَامَكُمُوا عَلَى إِذْنِ حَرَامِ^(٩)

(١) الْكَافُ بِفَتْحِهِينِ : الْحَبُ الشَّدِيدُ .

(٢) شَهْوَدِهِ : رُؤْيَتِهِ .

(٣) الشَّغْفُ كَالْكَافُ .

(٤) تَشْيِيعِهِ : تَوْدِيهِهِ .

(٥) الْمُخْتَدِ : الْأَصْلُ .

(٦) عَاجُ : مَالٌ ، أَيْ لَمْ يَغْلِبُوا إِلَيْهِ .

(٧) تَصَرَّمُ الزَّمَانِ : اِنْقَضَى .

(٨) صَحْنُ الدَّارِ : سَاحَتْهَا .

(٩) الْهَيْنَةُ : الصَّوْتُ الْحَقِيقِيُّ .

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانِي عِنْدَ السَّيِّدِ لَا تُنْكَرُ ، وَأَنَّ عَهْدِي لَدِيهِ
لَا يُخْفَرُ^(١) ؛ فَإِذَا أَنَا لَسْتُ فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ^(٢) وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِيرٌ ،
وَذَهَابُ صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرَ عَلَيْهِ يَسِيرٌ .

وَمَنْ مَدَّتِ الْعَلِيَا إِلَيْهِ يَعِينُهَا فَأَكْبَرُ إِنْسَانٍ لَدِيهِ صَفَرٌ
وَلَا أَدَعِي أَنِّي أَوَازِي السَّيِّدَ (صَانِهُ اللَّهُ) فِي عُلُوٍ حَسَبِهِ ، وَأَدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ
وَأَدَّبَهُ ، أَوْ أَقْارِبُهُ فِي مَنَاصِبِهِ وَرُتبِهِ ، أَوْ أَكَاثِرُهُ فِي^(٣) فَضْطَرِهِ وَذَهَبَهُ ، وَإِنَّمَا
أَقُولُ يَنْبَغِي لِلسَّيِّدِ أَنْ يُمْيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِيِّ وَالْأَذْكَارِ ،
وَشَهُودِ الْأَوَانِيِّ عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلْسَّلَامِ ، وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ
الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصًا لِلْخَلَاصِ^(٤) وَمَنْ يَتَرَدَّدُ
إِجَابَةً لِدَعْوَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَأَلَا يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ طَلَابُ الْفَوَائِدِ^(٥) بِطَلَابِ الْمَوَافِدِ ،
وَقُنَاصُ الشَّوَارِدِ^(٦) بِنُقَباءِ الْمَوَالِدِ ، وَرُوَادُ الْطَّرَفِ^(٧) بِأَزْبَابِ الْحِرْفِ .

فَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلْتَ سَائِلَاتَ الْعُرْفِ^(٨)

(١) خَفَرَ عَهْدَهُ : نَقْضَهُ .

(٢) يَقَالُ : هُوَ لَا فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ؟ أَيْ أَنَّهُ لَا قِيمَةُ لَهُ وَلَا يُحْسَبُ لَهُ أَى حِسَابٍ .

(٣) كَاثِرٌ : فَاتِرٌ بِكَثِيرِ الْمَالِ .

(٤) الْخَلَاصُ بِكَسْرِ الْخَاءِ : مَا تَقْتَلَ عَنْهُ الْعُشُّ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ أَوْ الزَّيْدِ . وَالْمَرَادُ بِهِ هُنْ مَا يَقْدِمُ مِنَ الصَّدَقَةِ وَنَحْوُهَا .

(٥) الْمَوَافِدُ : جَمْعُ عَائِدَةٍ وَهِيَ الْمُنْفَعَةُ .

(٦) يَرِيدُ بِالشَّوَارِدِ غَرَائِبَ الْلُّغَةِ وَنَوَادِرَ الْأَدْبِ .

(٧) الْطَّرَفُ بِضْمِ الْطَّاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ : جَمْعُ طَرْفَةٍ بِضْمِ الْطَّاءِ ، وَهِيَ الْجَدِيدُ الْمُحْسَنُ التَّخْيِيرُ .

(٨) الْعُرْفُ : الْجَوْدُ وَالْمَرْوُفُ .

فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُفْضِيَ عَنْ بَعْضِ الْأَجْنَاسِ، فَلَا يَحْسُنُ أَنْ
يُفْضِيَ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ.

وَلَا أَرُومُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنْزِلَةَ غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَأَامَا
وَإِنَّمَا أَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضَّمَّةِ، وَلَا أُعْرِضُهَا لِلضَّيقِ وَفِي الدُّنْيَا سَمَّةً.
وَأَكْرِمُ نَفْسِي إِنَّمَا أَهْنَتْهَا وَحْقَّكَ لَمَّا تَكْرُمْتُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي
فَلَا يُصْعِرُ (١) السَّيِّدُ مِنْ خَدْهِ، فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِنْ بَعْدِهِ،
وَلَا يَفْضِ (٢) مِنْ عَيْنِهِ، فَهَذَا فِرَاقٌ يَنْبَغِي وَيَنْتَهِ، وَلَيَتَخَذَنِي صَاحِبًا مِنْ بَعْدِهِ،
وَلَا يُكَلِّمَنِي إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ (٣).

كَلَانَا غَنِيٌّ عَنِ أَخْيَهِ حَيَاةً وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُ تَفَانِيَا
وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامُ، عَلَى الدَّوَامِ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبِسَ جَدِيدًا، وَكُلُّ
حَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيدًا، وَمَرْحَى (٤) إِذَا أَصَابَ، وَشَيْعَتُهُ السَّلَامَةُ
إِذَا غَابَ، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آبَ، وَبِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ (٥) إِذَا أَعْرَسَ (٦)
وَبِالطَّالِعِ الْمَسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ (٧)، وَرَحْمَةُ اللَّهِ إِذَا عَطَسَ، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا
نَعَسَ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا أَسْتَيقَظَ، وَهَنِئَ إِذَا شَرَبَ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ

(١) صرَرَ الرَّجُلُ خَدَهُ : أَمَالَهُ كَبِراً وَتَيْهَا.

(٢) يَفْضِ عَيْنَهُ : يَفْضِهَا.

(٣) يَوْمُ الْوَعِيدِ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

(٤) مَرْحَى بِفَتْحِ الْمَيْمَ وَسَكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْحَاءِ : كَلْمَةٌ تَقَالُ مَدْحَانٌ لِمَنْ يَصِيبُ الرَّمِيمَةَ.

(٥) بِالرَّفَاءِ وَالْبَنِينَ : دُعْوَةٌ لِمَنْ يَتَزَوَّجُ بِالْإِثْمَانِ وَاسْتِيلَادِ الْأُولَادِ.

(٦) أَعْرَسَ : تَزَوَّجَ.

(٧) أَنْجَبَ : وَلَدَهُ وَلَدَهُ.

إِذَا رَكِبَ ، وَنَعَمَ صَبَاحُهُ إِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرُ ، وَسَعِدَ مَسَاوِهُ إِذَا أَذْنَ الْعَصْرَ ،
وَبَخَ بَخَ^(١) إِذَا نَثَرَ^(٢) وَلَا فُضَّ فُوهُ^(٣) إِذَا شَعَرَ^(٤) ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذَا خَطَبَ ،
وَأَطَرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَبَ ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ تَحْجِيَّا مَبْرُورًا ، وَإِذَا شَيَعَ
جَنَازَتِي فَسَعِيًّا مَشْكُورًا .

وَكَتَبَ إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْيَيْشِ رَحْمَةُ اللَّهِ يَشْكُرُهُ عَلَى هَدِيَّةِ عَنْبٍ :

وَصَلَ يَا مَوْلَايَ إِلَى هَذَا الطَّرَفَ ، مَا خَصَصْتَ بِهِ الْعَبْدَ مِنَ الطَّرَفِ^(٥)
«قَفَصُ» مِنْ عَنْبٍ كَالْلَوْلَوْ فِي الصَّدَفِ ، تَتَالَّقُ عَنَاقِيَّهُ كَأَنَّهَا مِنْ صِنَاعَةِ
«النَّجَفِ»^(٦) وَلَعْمَرُ الْحَقِّ^(٧) إِنَّهَا تُحْفَةٌ مِنْ أَحْلَى التُّحَفِ ، لَا يُعْثِرُ عَلَى
مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ «الصَّدَفِ» فَقَابَلْنَاهُ آنَّمَا بِالْأَفْوَاهِ ، وَرَشْفًا بِالشَّفَاهِ .
وَاحْتَفَيْنَا^(٨) بِقُدُومِهِ كُلَّ الْاحْتِفَاءِ ، وَلَمْ تُفْرِطْ فِي حَيَّةٍ عِنْدَ الْلَّقَاءِ ؛
بَلْ حَلَّنَا لَهُ الْحَبِيِّ^(٩) ، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ، وَأَوْسَعْنَاهُ عَضَّاً
وَلَثَّاً ، وَتَنَاؤلْنَاهُ تَجْمِيشًا^(١٠) وَضَمًا ؛ وَحَفِظْنَا فِي صُدُورِنَا سِرَّهُ الْمُكْنُونُ ،
وَطَوَيْنَاهُ فِي غُضُوفِ الْبُطُونِ ، فَطَرَبَتْ مِنْ تَعَاطِيهِ الْأَرْوَاحُ ،

(١) بَخَ بَخٌ : كَلْمَةٌ تُقالُ عِنْدَ اسْتِحْسَانِ الشَّيْءِ وَالْإِعْجَابِ بِهِ .

(٢) نَثَرٌ : أَرْسَلَ الْفَوْلَ مُثْبُرًا .

(٣) لَافْضُ فُوهٌ : لَاخْلَا مِنْ أَسْنَاهِهِ . دُعْوَةٌ تُوجَهُ لِمَنْ يُجَيِّدُ الْفَوْلَ .

(٤) شَعَرٌ : قَالَ الشَّعْرَ . (٥) يُرِيدُ بِالْطَّرَفِ : التُّحَفَ .

(٦) النَّجَفُ : كَلْمَةٌ مُولَدةٌ . (٧) لَعْمَرُ الْحَقِّ : قَسْمٌ بِالْحَقِّ .

(٨) احْتَقَنَ بِهِ احْتِفَاءً : أَكْرَمَهُ وَأَظْهَرَ السُّرُورَ بِهِ .

(٩) يُقالُ فَلَانٌ مَنْ تَحْلُلُ لَهُ الْحَبِيِّ ، أَيْ يُقَابِلُ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ . وَالْحَبِيُّ : جَمْ جَبْوَةٌ وَهِيَ مَا يُجْمِعُ بِهِ مَا بَيْنَ الظَّهَرِ وَالسَّاقِ مِنْ حَبْلٍ وَنَحْوِهِ .

(١٠) جَشَهُ تَجْمِيشًا : قَرْصٌ وَلَاعِبٌ .

وَلَا غَرْوَ^(١) فَهُوَ أَصْلُ الرَّاحِ^(٢) . وَانْتَشِينَا^(٣) وَلَمْ نَحْمِلْ وَزْرًا ، وَعَلِنَا^(٤)
وَلَمْ نَذْقُ طَعْمًا مُرًا . فَهُوَ كَبِيَانٌ مُهْدِيهٌ سِخْرٌ وَلَكِنْهُ حَلَالٌ ، وَلَعِبٌ
إِلَّا أَنَّهُ كَالٌ .

* * *

وَكَانَ الْأُخْرَى بِهَذَا الْغِنَبِ أَنْ يُنَاطَ^(٥) بِالنُّحُورِ ، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُورُ ؛
فَا هُوَ إِلَّا الْأَوْلُو^(٦) وَلَكِنْهُ سَلَمٌ مِنْ سِجْنِ الْبِحَارِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الدُّرُّ لَكِنْ
لَيْسَ فِيهِ صُغَارٌ^(٧) .

وَمَنْ كُنْتَ بِحْرًا لَهُ يَا عَلِيَّ ؟ لَا يَلْقَطُ الدُّرُّ إِلَّا كُبَارًا^(٨)
وَمَا خَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَفَاصُ ، (حِصَةٌ مِنَ الْحَصَاصِ^(٩)) فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ
يُوَدِعُ فِي الْأَقْفَاصِ ، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَنَائِنَ الضُّلُوعِ خَلَاصٌ . فَلَا بَدْعَ
أَنْ تُسْتَقَلَّ فِي حَبَّاتِهِ حَبَّاتُ الْقُلُوبِ ، وَيُسْتَمْلَحَ فِي جَنْبِ حَلَاؤِهِ رُضَابٌ^(١٠)
الْمُحِبُوبِ . وَكَانَ الْأَرْيَانَا لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَهُ ، فَغَرَّ الْهَلَالُ فَاهٌ^(١١) لِعَنْ قُودَهَا
يُرِيدُ أَكْلَهُ ، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِي السَّماءِ ، وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرَيقَ مِنَ الْوَرَاءِ .
وَهِيَ تَجْرِي مِنَ الْأَمَامِ ، مَخَافَةً الْأَنْتِهَامِ . هَذَا لِمُجَرَّدِ تَشَابِهِ فِي الشَّكْلِ

(١) لا غرو : لاعجب .

(٢) انتشى : سكر .

(٣) علن : يعلق .

(٤) الراح : من أسماء المطر .

(٥) معن : سكر .

(٦) المصغار بضم الصاد : الصغير .

(٧) الكبار بضم الكاف : الكبير .

(٨) الحصة في الأصل : النصيب واستعملها المحدثون في معنى الفترة من الزمن يريد وقتاً من الأوقاف .

(٩) فرقاه : فتحه .

(١٠) الرضاب بضم الراء : الريق .

فَكَيْفَ بِالثَّرِيَا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حَلَوةً وَرِيَا^(١) ! فَلَمَّا تِلْكَ الْعَنَاقِيدُ مَا أَشَدَّ
تَأْلِفَهَا^(٢) ، وَأَصْفَى مَاءَهَا ، وَأَحْسَنَ رَوْقَهَا . مِنْ كُلِّ عَنْقُودٍ تَخَالُهُ عُمُودُ الصَّبِيجِ^(٣)
أَحْاطَتْ بِهِ الدَّرَارِيُّ ، أَوْ غَصَنَ الْبَانِ^(٤) تَمَلَّقَتْ بِهِ الْقَمَارِيُّ^(٥) .

وَكَتَبَ يَعْزَى كَبِيرًا^(٦) (لِعْلَهُ الشِّيْخُ عَلَى يُوسُفَ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي وَلْدِهِ) :

خَفَفَ اللَّهُ لَوْعَتَكَ^(٧) ، وَأَرْقَأَ^(٨) دَمْعَتَكَ ، وَجَنَبَكَ الْجَزَعَ^(٩) ، وَوَقَاكَ
الْهَلَعَ^(١٠) . وَأَلْهَمَكَ الصَّبَرَ ، وَأَجْزَلَ لَكَ الْأَجْرَ وَرَزَقَكَ مِنَ الْبَنِينَ ، فِي مُسْتَقِبَلِ
السَّنِينَ ، مَا تَقَرَّ^(١١) بِهِ عَيْنَاكَ ، وَيَقُوَى بِهِ عَنَاكَ^(١٢) ، وَأَنْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
فِي قُوَّةٍ وَبَقِيَّةٍ مِنَ الْفُتوَّةِ^(١٣) أَمْكَنَكَ مِنَ الْأُبُوَّةِ ، لِخَيْرِ الْبَنْوَةِ . عَلَى أَنَّ لَكَ
فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، وَضُرُوبِ الْكِيَاسَةِ^(١٤) ، فِي هَذِهِ الْبِلَادِ ، أَلْوَانًا مِنَ الْأَوْلَادِ ،
وَآثَارًا كُبِرَى ، تَضَمَّنَ لَكَ الذِّرْيَ ، وَتَجْعَلَ لَكَ عَلَى مَدَى السَّنِينِ لِسَانَ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(١) الرى بالكسر : الشبع من الماء.

(٢) تألفها : بريتها.

(٣) عمود الصبيج : ضوؤه.

(٤) البيان : شجر يضرب المثل باغصانه في اعتدال القوام.

(٥) القياري يفتح القاف وكسر الراء : جمع قرئ بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت

(٦) الملوعة : حرقة الحزن.

(٧) أرقأ دمعته : جفتها.

(٨) الجزع : أشد الحزن.

(٩) الهلع : الجزع من المصيبة.

(١٠) قرت العين : بردت من السرور.

(١١) العنا : الجانب.

(١٢) الفتوة : قوة الشباب.

(١٣) الـكـيـاسـةـ : الـفـطـنـةـ وـصـحةـ الرـأـيـ.

١٨ - السيد مصطفى لطفي المفلوطي^(١)

نفس الشاعر

« قطعة من رواية الشاعر ، يخاطب فيها سيرانو
ليريه الذي ينصحه بحسن السياسة والمداراة »

أَتُرِيدُ أَنْ تَعْتَمِدَ فِي حَيَاةِ عَلَى غَيْرِي ، وَأَنْ أَضْعَ زَمَانَ نَفْسِي فِي يَدِ
عَظِيمٍ مِنَ الْمُظَمَّاء ، أَوْ نَبِيلٍ مِنَ النَّبَلَاء ، يَصْطَنْعُنِي وَيَجْتَبِينِي^(٢) وَيَكْفِينِي
مَهْوَنَةَ عِيشِي ، وَيَحْمِلُ عَنِّي هُومَ الْحَيَاةِ وَأَقْالَاهَا ، فَيَكُونُ مَثِيلًا مَثَلَ شَجَرَةَ
« الْلَّبَاب » لَا عَمَلَ لَهَا فِي حَيَاةِهَا سَوَى أَنْ تَلْتَفَ بِأَحَدِ الْجُذُوعِ تَلْعِقَ^(٣)
قِشْرَتَهُ ، وَغَتَّصَ مَادَّةَ حَيَاةِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَعْتَمِدَ فِي حَيَاةِهَا عَلَى نَفْسِهَا .

ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ .

أَتُرِيدُ أَنْ أَجْهِلَ نَفْسِي عَلَى عَاتِقِي ، كَمَا يَحْمِلُ الدَّلَالُ سَلْعَتَهُ ، وَأَدْوِرُ بِهَا
فِي الْأَسْوَاقِ مَنَادِيَا عَلَيْهَا : مَنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءِ وَالْأُثْرِيَاءِ^(٤) ، وَالْوَزَارَاهُ
وَالْمُظَمَّاءِ ، وَأَصْحَابِ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، يَبْتَاعُ نَفْسًا بِذَمَّتِهَا وَضَمِيرِهَا ، وَعَوْا طَفْهَهَا
وَمَشَاعِرِهَا ، بِلْقُمَّةِ عَيْشِ ، وَجُرْعَةِ مَاءِ ? .

(١) نشأ السيد المفلوطي بنفلوط وتتعلم بالأزهر . و Ashton محررًا بالمؤيد . ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول فألحقه بالمعارف ثم الحقانية . وكان كتاباً رقيق القول حكم النسج . يجيد تصوير الشعور الحزينه قوله شعر قليل توفي سنة ١٣٤٣ هـ تاركاً آثاراً علمية جليلة

(٢) يجتبيني : يختاري

(٣) لعن الشيء : أخذته بطرف لسانه

(٤) الأثرياء : جمع ثري وهو من هذه مال كثير .

أَتْرِيدُ أَنْ تَسْتَحِيلَ قَامَتِي إِلَى قَوْسٍ مِّنْ كَثْرَةِ الْأَنْجِنَاءِ وَأَنْ تَهَدَّلَ
أَجْفَانِي مِنْ كَثْرَةِ الإِطْبَاقِ وَالْإِغْضَاءِ ، وَأَنْ تَجْتَمِعَ فَوقَ رُكْبَتِي طَبَقَةٌ
مَمِيكَةٌ مِّنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ وَالْجُنُوٌ^(١) بَيْنَ أَيْدِي الْمُظْمَاءِ !

أَتْرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي لِسَانًا : لِسَانٌ كَاذِبٌ أَمْدَحُ بِهِ ذَلِكَ الَّذِي
صَنَعَنِي وَاجْتَبَانِي ، وَلِسَانٌ أَعْدَدُ بِهِ عُيُوبَهُ وَسَيِّئَاتِهِ . وَأَنْ يَكُونَ لِي وَجْهًا :
وَجْهٌ رَاضٍ عَنْهُ ، لَا نَهُ يَذُودُ عَنِي وَيَحْمِينِي ، وَوَجْهٌ سَاخِطٌ عَلَيْهِ ، لَا نَهُ
يَسْتَعْبِدُنِي وَيَسْتَرْقِنِي ؟
ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ !

أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أَضْحِكُ كُلَّ أَشَاءَ ، وَأَبْكِي كُلَّ أُرِيدُ ،
وَأَحْتَفِظُ بِنَظَرِي سَلِيمًا وَصَوْنِي رَنَانًا ، وَخَطَوَاتِي مُمْتَظَمَةً ، وَرَأْسِي مَرْفُوعًا
وَقَوْلِي صَرِيحًا ، أَنْظَمُ الشِّعْرَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَخْتَارُهَا ، وَفِي الشَّأنِ الَّذِي أُرِيدُهُ
فَإِنْ أَعْجَبَنِي مَا وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ فَذَاكَ ، وَإِلَاتِرْكَتُهُ غَيْرَ آسِفٍ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَتُ
فِي نَظَمٍ غَيْرِهِ ، بَدَلاً مِنْ أَنْ أَتَوَسَّلَ إِلَى الطَّابِعِينَ أَنْ يَنْشُرُوهُ ، وَالْأَدَباءُ أَنْ
يُقْرَّظُوهُ ، وَالْمُمْثِلُينَ أَنْ يُعْثِلُوهُ ، وَالْمُظْمَاءُ أَنْ يُنْوِّهُوا بِهِ وَيَرْفَعُوا مِنْ شَانِهِ !
أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أَنْأَضِلُّ مَنْ أَشَاءَ ، وَأَجَادِلُ مَنْ أَشَاءَ ،
وَأَنْقَدُ مَنْ أَشَاءَ ، وَأَنْ أَقُولَ كَلِمَتَيِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِلْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ
فِي وُجُوهِهِمْ ، لَا مُتَمَلِّقاً أُولَئِكَ ، وَلَا خَاشِيًّا هُؤُلَاءِ .

(١) جُنُونُ الرَّجُلِ يُجْبِيُهُ : جُلُسُ عَلَى رَكْبَتِيهِ

(٢) أَنَاضِلُ : أَدَافِعُ وَأَغَالِبُ

وكتب أيضاً :

الشاعر

إنما يشقى في هذا العالم أحد ثلاثة : حاسد يتالم لمنظر النعم التي يسبغها الله على عباده ، ونعم الله لا تنفرد ولا تفني . وطماع لا يستريح إلى غاية من الغايات حتى تنبعث نفسه وراء غاية غيرها ؛ فلا تفني مطامعه ، ولا تذهب متابعيه . ومفتر جريمة من جرائم العرض والشرف ، لا يفارقه خيالها حينما حل وأينما سار ، وما أنت يا سيدى بوأحد من هؤلاء ، فمن أى باب من الأبواب يتسلب الشقاء إلى قلبك .

أنت شاعر يا مولاي ، وقلب الشاعر مرآة تقراء فيهما صور الكائنات ، صغيرها وكبیرها ، دقیقها وجليلها ؛ فإن أغوزتك^(١) السعادة ففتّش عنهم في أعماق قلبك ؛ فقلبك الصورة الصغرى للعالم الأكبر وما فيه .

السماء جميلة ؛ والشاعر هو الذي يستطيع أن يدرك سر جمالها ؛ ويخترق بنظراته أديعها^(٢) الأزرق الصافي ؛ فيرى في ذلك العالم المعلوِّ النائي مالا تراه عين ، ولا يعتد إليه نظر .

(١) أغوزتك : احتجت إليها .

(٢) الأدم : الجلد . وأدم الأرض والسماء : ما ظهر منها .

وَالْبَحْرُ عَظِيمٌ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَشْعُرُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، وَيَرَى
فِي صَفْحَتِهِ الرَّجْرَاجَة^(١) الْمُتَرَجِّحةَ^(٢) صُورَ الْأَمَمِ الَّتِي طَوَّاها ، وَالْمُدُنُ الَّتِي
سَخَّانَاهَا ، وَالدُّولَ الَّتِي أَبَادَهَا وَهُوَ باقٌ عَلَى صُورَتِهِ لَا يَتَغَيِّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ،
وَلَا يَبْلُى^(٣) عَلَى الْمُصْوَرِ وَالْأَيَّامِ .

وَاللَّيلُ مُوْحِشٌ^(٤) وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ فِي سُكُونِهِ وَهُدُوئِهِ
أَنِينَ الْبَاكِينَ ، وَزَفَرَاتِ^(٥) الْمُتَائِمِينَ ، وَأَصْوَاتَ الدُّعَاءِ الْمُتَصَاعِدَةِ إِلَى
آفَاقِ السَّمَاءِ ، وَيَرَى صُورَ الْأَحْلَامِ الطَّائِفَةَ بِعَضَاجُعِ النَّائِمِينَ ، وَخَيَالَاتِ
السَّمَادَةِ أَوِ الشَّقَاءِ الْمَهَاجِةِ^(٦) فِي رُؤُوسِ الْمَجْدُودِينَ^(٧) وَالْمَحْدُودِينَ^(٨) .

الشَّاعِرُ يَرَى الْجَمَالَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَنَاهُ لَهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ ، حَتَّى فِي الزَّهْرَةِ
الذَّابِلَةِ ، وَالنَّدْنَدَةِ الْحَمَائِلِ^(٩) ، وَالنَّحْلَةِ الطَّائِرَةِ ، وَالْفَرَاشَةِ الْحَمَائِلِ^(١٠) ، وَفِي
مَدَارِجِ^(١١) النَّمَالِ وَأَفَاحِيَصِ^(١٢) الْقَطَاطِ^(١٣) وَالنُّؤُى^(١٤) الْمُتَهَدَّمِ ، وَالْجَدَدِ الْبَالِيِّ ،
وَالشَّبَّحِ الْمُخِيفِ ، وَالْخَيَالِ الرَّائِعِ ، وَفِي الضَّفَدَعَةِ الْمُلْقَأَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ،

(١) الرَّجْرَاجَةُ : التَّحْرِكَةُ الْمَتَاهِيَّةُ .

(٢) بَلِ الشَّيْءُ : تَهْيَا لِلنَّفَاءِ .

(٣) مُوْحِشٌ : مُظَلِّمٌ يَبْعُثُ عَلَى الْوَحْشَةِ وَالْأَنْقَاضِ .

(٤) زَفَرُ الرَّجُلِ : أَخْرَجَ نَفْسَهُ مَعَ مَدِهِ لِيَاهُ ؛ مِنْ ضيقِ وَحْزَنِ .

(٥) الْمَهَاجِةُ : الطَّائِفَةُ .

(٦) الْمَجْدُودُونُ : جَمْعُ مَجْدُودٍ ، وَهُوَ ذُو الْحَظْ المَوْفَقِ .

(٧) الْمَحْدُودُونُ : جَمْعُ مَحْدُودٍ ؛ وَهُوَ ضَدُّ الْمَجْدُودِ .

(٨) الْمَهَائِلُ : الْمَتَاهِيَّةُ .

(٩) الْحَمَائِلُ : الْمَتَاهِيَّةُ .

(١٠) الْحَمَائِلُ : أَيُّ الَّتِي لَا تَفْتَأِ تَدُورُ حَوْلَ النَّارِ وَالنُّورِ .

(١١) الْمَدَارِجُ : جَمْعُ مَدَرَجٍ . مَوْضِعُ الدَّرُوجِ . وَهُوَ الْمَفْىِ .

(١٢) الْأَفَاحِيَصُ : جَمْعُ أَنْخُوشٍ بِضمِ الْهَمَزةِ . وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّتِي تَنْحَصُّ الْقَطَاطَةُ الْمَرَابُ عَنْهُ لِتَبِعِيهِ فِيهِ .

(١٣) الْقَطَاطُ : جَمْعُ قَطَاطٍ . وَهُوَ طَائِرٌ فِي حِجَمِ الْحَمَامِ .

(١٤) النُّؤُى : الْحَفَرَةُ الَّتِي تَحْفَرُ حَوْلَ الْحَيَّامِ لِيَذْهَبَ فِيهَا السَّيْلُ .

وَالْدُّوْدَةُ الْمُمْتَدَّةُ فِي بَاطِنِ الصَّخْرِ ، فَهُوَ مِنْ خَيَالِهِ الْوَاسِعِ فِي نِعْمَةِ دَائِمَةٍ
لَا تَنْفَدُ وَلَا تَبْلِي .

أَنْتَ كَالْطَّائِرُ السَّجِينُ فِي قَصْبِهِ ، فَمَزِقْتَ عَنْ نَفْسِكَ هَذَا السُّجْنَ الَّذِي
يُحِيطُ بِكَ ، وَطَرِيجَنَّاكَ فِي أَجْوَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْبَسِطِ الْفَسِيحِ ، وَتَنَقَّلَ
مَا شِئْتَ فِي جَنَابَاتِهِ وَأَكْنَافِهِ^(١) ، وَاهْتَفَ^(٢) بِأَغَارِيدِكَ^(٣) الْجَمِيلَةِ فَوْقَ قِمَمِ
جَبَالِهِ ، وَرَءُوسِ أَشْجَارِهِ ، وَضِفَافِ^(٤) أَنْهَارِهِ ، فَإِنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِلسُّجْنِ وَالْقِيدِ
بَلْ لِلْهُتَافِ وَالتَّغْرِيدِ .

١٩ - سعد زغلول باشا^(٥)

وَجَهَ رَحْمَهُ اللَّهُ هَذَا النَّداءُ إِلَى الْأُمَّةِ الْمَصْرِيَّةِ عَقبَ عُودَتِهِ إِلَى مَصْرِ
فِي صَدْرِ سَنَةِ ١٩٢١ م :

رَحِبَّتِ الْأُمَّةُ بِعِوْدَةِ نُوَّابِهَا تَرْحِيمًا فَاقَ كُلُّ تَرْحِيمٍ ، وَأَبْخَرَ وَصَفَّ
كُلُّ كَاتِبٍ وَخَطِيبٍ ، فَقَدَّ أَتَى أَفْرَادُهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِدَافِعٍ مِنْ ضَمَائِرِهِمِ
الثَّيَّرَةِ ، وَبَاعِثٍ مِنْ شُعُورِهِمُ الْأَلْحَى ، تَرَتَّلَتْ عَشُونُ أَعْصَابِهِمْ حَمَاسَةً ، وَتَخَفَّقَ قُلُوبُهُمْ
بِالْأُوْطَانِيَّةِ الصَّادِقةِ ، لِلِلْأَتِفَافِ حَوْلَ مَنِ اتَّخَذُوهُمْ رَمَزَ أَمَانِيْهِمْ وَعُنْوانَ مَبَادِئِهِمْ .

(١) أَكْنَافُهُ : نَوَاحِيهِ . (٢) هَتَافُ : مَدْ صُوتِكِ .

(٣) الْأَغَارِيدُ : جَمْ أَغْرُودَة . وَهِيَ غَنَاءُ الطَّائِرِ .

(٤) الْقِيمُ : جَمْ قَةٌ وَهِيَ أَعْلَى الْجَبَلِ . (٥) ضِفَافُ : جَمْ ضَفَّةٌ . وَضَفَّةُ النَّهَرِ : جَانِبُهِ .

(٦) يُعد سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية في عصره — درس في الأزهر دراسة استقلالية أعدته ليكون كاتباً زاغياً ومحامياً بارعاً وقانونياً قديراً كان زعيم النهضة السياسية حتى توفي سنة ١٩٢٧ م.

وَلَقَدْ رَأَيْتَ آيَاتِ الْحِكْمَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالثَّبَاتِ تَنْجَلُ فِيمَا اسْتُقْبِلْنَا بِهِ مِنْ
مَظَاهِرِ الْفَرَحِ الْبَاهِرِ — تَمْلِكَ الصَّفَاتِ الَّتِي تَضْمَنُ لِلنُّوشُوبِ تَقْدِيمَهَا وَالْلَّامَ
سَعَادَتِهَا . وَشَعَرْتُ مِنْ قُبْلَاتِ التَّرْحِيمِ الَّتِي غَمَرَوْنَا بِهَا بِحَرَارَةِ قَلْبٍ يَخْفِقُ
فِي جَسْمٍ شَعْبٍ عَظِيمٍ . وَقَدْ اشْتَرَكَ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ فِي أَنْ يُمْلِوَا عَلَى
الْجَمْوُعِ وَكُلِّ فَرْدٍ وَاجِبَةً نَحْوَ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ ، وَأَجْمَعَ الْكُلُّ عَلَى مُطَالِبِنَا
بِمُوَاصِلَةِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَنَّهُ الْحَقُّ الْقَوِيمُ .

وَإِنَّ الشَّرَفَ وَالْكِرَامَةَ وَالْإِخْلَاصَ لِوَطَنِنَا الْمُقَدَّسِ لِمَمَّا يُوجِبُ
عَلَيْنَا طَاعَةَ هَذَا الْأَمْرِ الْكَرِيمِ ، وَالْتِزَامَ هَذَا الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

إِنَّا نَشْكُرُ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا ، قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا ، عَلَى حُلْمَةِ الثَّقَةِ^(١) الَّتِي
زَيَّنَتْنَا بِهَا ، وَقُسْمُ بِالْوَطَنِ وَشَعَائِرِ^(٢) الْمُقَدَّسَةِ — وَيُشَارِكُنَا فِي هَذَا
الْقَسْمِ الْعَظِيمِ أَصْحَابُنَا الْمُخْلِصُونَ فِي جِهَادِهِمْ — إِنَّا لَا نَدَّخِرُ شَيْئًا مِنْ وُسْعِنَا
لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الثَّقَةِ الْفَالِيةِ ، وَلَا نَتَحَوَّلُ لَحْظَةً وَاحِدَةً عَنِ الْغَرَضِ الَّذِي
وَضَعَنَاهُ نُصِّبُ^(٣) عَيْوَنِنَا حَتَّى نَصِلَّ إِلَيْهِ .

إِنَّا لَمْ نَعْدُ إِلَّا لِنُقَوِّيَ بِعِزَائِمِ مُوَاطِنِنَا الْكَرَامِ عَزَائِنَا ، وَنَشُدُّ أَزْرَنَا
بِاتِّحَادِهِمُ الْمَتَّيْنِ ، وَنَتَمَّعُ بِعِزَّهُمْ بَعْدَ طُولِ هَذِهِ الْفَيَّبَةِ ، وَنَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّ
الاشْتَرَاكَ فِي الْمَفَاوِضَاتِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي دَعَتْنَا الْوَزَارَةُ الْجَدِيدَةُ لَهُ مُتَّفِقٌ مَعَ
الْمِبَادِئِ الَّتِي وَضَعَتْهَا الْأَمْمَةُ ، وَعَاهَدْنَاهَا عَلَى احْتِرامِهَا ، وَمَعَ الْخُلْطَةِ الَّتِي رَسَّمَتْهَا

(١) الحلة : النوب . (٢) الشعائر : العلامات والمعالم . (٣) نصب عيوننا : أمامها .

وَعَهْدُنَا يُتَابِعُهَا ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَى قُلُوبِنَا مِنْ أَنْ نَخْدُمَ بِلَادِنَا بِالْإِقْرَاقِ
مَعَ كُلِّ هَيَّةٍ مُسْتَعِدَّةٍ لِأَنْ تَسْتَرْشِدَ بِإِرَادَةِ الْأُمَّةِ ، وَعَامِلَةٍ عَلَى تَحْقِيقِ
فَاعِلَّتِهَا السَّامِيَّةِ .

لَمْ يَبْقِ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ يَعُودَ كُلُّ مِنَا إِلَى عَمَلِهِ ، وَيُقْبِلَ عَلَى شَأْنِهِ : فَالْتَّالِمِيَّذُ
إِلَى مَدْرَسَتِهِ ، وَالْفَلَاحُ إِلَى مَزْرَعَتِهِ ، وَالصَّانِعُ إِلَى مَصْنَعِهِ ، وَالْتَّاجِرُ إِلَى مَتَجَرِهِ ،
وَالْكَاتِبُ إِلَى مَكْتَبِهِ ، وَالْمَرْأَةُ إِلَى إِدَارَةِ بَيْتِهَا ، وَعَلَى الْكُلِّ مِنْ غَنِّيٍّ وَفَقِيرٍ
أَنْ يُبَاشِرَ عَمَلَهُ ، مُرَاقِبًا أَعْمَالَنَا ، راضِيًّا نُصْبَ عَيْنِيهِ الْمَقْصِدَ الْأَسَمِ ،
وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يَرِيدُ بِمَا يَعْمَلُ فِي كُنُوزِ الْوَطَنِ كِنْزًا ، وَيَضْمُمُ إِلَى قُوَّاهُ قُوَّةً .
إِلَى الْعَمَلِ جَمِيعًا لِنَرْفَعَ مَنَارَ الْوَطَنِ وَنُعْلِيَ كَلْمَتَهُ ، وَلَتَحْتَ مِصْرُ .

٢٠ — محمد بك المويلحي^(١)

كَتَبَ مِنْ مِصْرَ إِلَى مُنِيفِ باشا وزَيْرِ الْمَعَارِفِ فِي تُرْكِيَا يَعْزِيزِهِ فِي ابْنَتِهِ :
إِلَى الْوَزِيرِ الَّذِي تَرْتَعِشُ بِنَظَرِهِ مِنْهُ عُقْدُ السِّيَاسَةِ حَتَّى تَنْهَلَ مِنْ شِدَّةِ
الْإِرْتِحَافِ ، وَالْأَمِيرِ الَّذِي يَنْتَعِشُ بِهِ سُرُورًا دَسْتُ^(٢) الرِّيَاسَةِ ، حَتَّى يَتِيهَ عَلَى
الْأَسْلَافِ ، وَالْفِيْلَسُوفِ الَّذِي تَفَرَّعَتْ عَنْهُ أُصُولُ الْحِكْمَ ، وَالْمُهَمَّامِ الَّذِي أَعْيَا

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحي . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكتاب أئمة العلم والأدب في عصره . وحذف الترکية وطائفة من اللغات الأوربية . ومتاز قلمه بصفاء الديباجة ، ونقاء المفاظ ، وتلامح النسج ، ومتانة السجع ، وقد أتوى من البراعة في فنون الوصف ما لا يتعلّق فيه بغيره . ولهم (حديث عيسى بن هشام) قد نشر منجماً في جريدة « مصباح الشرق » التي كان يحررها مع أبيه توفي سنة ١٩٣٠ .

(٢) الدست : السكرسي .

النجومَ أَنْ تَبَارِيهِ فِي عُلُوِّ الْهَمَمِ ، وَالرَّفِيعُ الذِّي سَارَتْ عَنْهُ أَمْثَالُ الْمَجْدِ الْمُؤْتَلِ^(١) ،
وَانْتَشَرَ عَلَى السَّمَاءِ^(٢) حَدِيثُ فَضْلِهِ الْمُرْتَلُ :

إِلَى قَطْبٍ^(٣) الدُّنْيَا الذِّي لَوْ بِفَضْلِهِ مَدَحْتُ بَنِي الدُّنْيَا كَفَّتُهُمْ فَضَائِلُهُ
مِنْ أَعْبَدِ لَدَوْلَتِهِ ، لَهُ الشَّرَفُ الْأَسَنِ بِهَذِهِ النِّسْبَةِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَالْفَخْرُ الْأَعْلَى
بِذَلِكَ وَأَفَانِينُ التَّيْهِ^(٤) . دَهْمَهُ خَبْرُ الْمُصَابِ الذِّي أَنْقَضَ^(٥) ظَهْرَهُ ، وَأَرْضَى
دَهْرَهُ^(٦) ، عَلَى أَنَّ الْمَوْتَ — أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَ الْمَجْدِ بِطُولِ بَقَائِكَ ، وَأَدَمَ رَوْنَقَ
الْفَضْلِ بِدَوَامِكَ — بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الطَّبِيعَةِ لَا مَفَرَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ وَلُوجِ فِيهِ ،
وَعَوْنَ مِنْ أَعْوَانِ الْحَيَاةِ لَا بُدَّ لِلْحَيَّ مِنْ تَوَافِيهِ^(٧) . وَاسْمُ الْحَيَاةِ لَا مَعْنَى لَهُ بِغَيْرِ
اسْمِ الْمَوْتِ ، وَلَفْظُ الْعِيشِ مُتَضَمِّنٌ لِلْفَظِ الْفَوْتِ^(٨) . وَلَقَدْ قَيلَ لِكِيمٌ مَثَلُكَ :
مَا سببُ مَوْتِ فَلَانِ . قَالَ : كَوْنُهُ^(٩) ، فَعَجِيبٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ
وَحْزُنُهُ . وَإِنِّي أَتَيْقَنُ أَنَّ مَوْلَايَ الْوَزِيرَ مَا تَجَاهَسَ أَنْ يَلْمَسَ أَذْيَالَهُ رَسُولُ الْحُزْنِ
وَالْأَسَى ، وَلَا عَارَضَ نُورَ حَكْمَتِهِ عَارِضٌ مِنْ ظُلْمَةِ ذَاكَ الدُّجَى^(١٠) ، وَمَا تَسْنَى

(١) المؤتل : الأصيل الثابت .

(٢) السماء : المتسارون ، المتخدتون ليلاً . وفي الليل يجتمع الناس عادة للتحدث .

(٣) قطب الشيء . مداره وملاكه الذي يعمل به . وقطب القوم : سيدهم الذي يدور عليه أصرهم .

(٤) التيه : الكبر والخيال .

(٥) أنقض ظهره : أثقله .

(٦) كل امرئ يحسب دهره عاملا على إيزانه يرضيه أن يتواли عليه الضرار ، وينزل به المكرره .

(٧) تواقي إلى المكان : حضر إليه .

(٨) الفوت : الهلاك .

(٩) كونه : أي حياته .

(١٠) الدجي : الظلمة .

لِطَفِيلٍ الْفَزَعُ أَنْ يَتَمَظَّلَ^(١) عَلَى مَا تَدَةَ حَلْمِهِ بَعْدَ ارْتِقاءِ هَضَبَاتِهِ^(٢)؛ وَلَا طَمَعَ أَشْعَبِي^(٣) الْجَزَعَ فِي اسْتِجْدَاءِ مِنْ مَعْدَنِ وَقَارِهِ وَثَبَاتِهِ.

لَكِنَّمَا الْفَقِيْدَةُ الَّتِي اخْتَارَتْ رُوحَهَا فَدَاءَهُ لِبَنَاتِ مَعَالِيْكَ وَمَجْدَكَ،
وَرَضِيَتْ أَنْ تَكُونَ نَفْسَهَا زَكَاءَ لِكُنُوزِ فَضَائِلَكَ وَسَعْدَكَ، تَسْتَوْجِبُ
مِنْ جَهَتَيْنِ لَا مِنْ جِهَةِ^٤ ، أَنْوَاعَ الْأَسْفِ ، وَيَنْبَغِي لَهَا إِرْسَالُ الدَّمْعِ
الْمُنْذَرِفِ^(٥) ، وَاحْتِرَاقُ الْكَبَدِ عَلَيْهَا مِنْ طَرَفِينِ لَا مِنْ طَرَفِ - الْأُولُ: أَنَ الْوَرَدَةَ قَدْ افْتَطَفَتْ قَبْلَ إِبَانِهَا^(٦) ، وَانْتَزَعَتْ مِنْ أَفْنَانِهَا^(٧) قَبْلَ أَوَانِهَا ،
وَاقْتُبَصَتْ الظَّبَيْةُ مِنْ خَمَائِلِهَا؛ قَبْلَ اسْتِكَمالِ مَخَالِيلِهَا^(٨) ؛ وَاقْتُطَفَتْ الْحَمَامَةُ
مِنْ وَكْرَهَا قَبْلَ أَنْ يُطَوَّقَ جِيدُهَا وَيَنْتَظِمَ نَشِيدُهَا ، وَاقْتُصِفَ الْفُصْنُ
قَبْلَ إِنْمَارِهِ ، وَانْمَحَقَ^(٩) الْهَلَالُ قَبْلَ إِبْدَارِهِ . وَحِينَ الْبَدْءُ فِي دَوْرِ مِنْ أَدْوَارِهِ ،
وَشَعَاعُ أَمْلِ لَفَ عَلَيْهِ السَّحَابُ رِدَاءَهُ ، وَسَاعَةُ سُرُورٍ نَبَذَهَا حَسَدُ الْأَيَامِ
وَاللَّيَالِي وَرَاءَهُ :

إِنَّ الْفَجِيْعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا لَأَجَلُّ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلًا

(١) تَلْمِظُ الشَّيْءَ : تَذُوقُ مِنْهُ قَلِيلًا .

(٢) هَضَبَاتٌ : جِمْعُ هَضْبَةٍ وَهِيَ الْمَسْكَانُ الْمُرْتَفَعُ .

(٣) أَشْعَبَ : اسْمُ رَجُلٍ يُضَرِّبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْطَّمْعِ .

(٤) المُنْذَرِفُ : السَّائِلُ .

(٥) إِبَانُ الشَّيْءِ : أَوْلُ وَقْتِهِ . أَوْ قَبْلَ اكْتَمَالِ نَفْرَتِهِ .

(٦) جِمْعُ فَنْ وَهُوَ الْفُصْنُ الْمُسْقَمُ .

(٧) مَخَالِيلُهَا : صَفَاتُهَا وَحَاسِبَتُهَا .

(٨) انْمَحَقَ : أَضْمَحلَ وَانْعَمَى .

والثاني : لأنّي لستُ من رأى من ينسب إلى النبِيِّ أَنْهُ قَالَ : « نَعَمْ
الْخَتْنُ وَالْقَبْرُ^(١) » ، وَلَا مِنْ رَأَى الْمَرَبُّ حِينَ تَبَعَّجَ بِعُصَاهَرَة^(٢) الْقُبُورِ ،
وَهُضْمٌ حَقٌّ الْإِنَاثُ وَتَفْضِيلُ الدُّكُورِ . وَلَا أَرَانِي مِنْ مَذَهَبِ الشَّيْخِ
الْمَعْرِي^(٣) وَمَنْ قَبْلَهُ حِينَ يَقُولُ :
وَدَفْنٌ ، وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ لِإِخْدَاهُنَّ إِحْدَى الْمَكْرُمَاتِ^(٤)
وَلَا مِنْ جَانِبِ الْفَرَزْدَقِ وَيُرْوَى عَنْهُ :
وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقْنَعَ
وَلَا تَتَفَتَّ لِنَاحِيَةِ الْبُحْتُرِيِّ وَيُنْشَدُ لَهُ :
وَلَعْمَرِي مَا الْمَعْجَزُ عَنِّي إِلَّا أَنْ تَبَيَّنَ الرَّجُالُ تَبَكِّي النِّسَاءَ^(٥)
فَسَيِّانٌ فِي حُكْمِ الطَّبِيعَةِ مُقْنَعٌ^(٦) بِلَامَةِ الْحَدِيدِ^(٧) فِي الْهَيْجَاءِ^(٨) ، وَمُقْنَعٌ
بِلَامَةِ^(٩) الْحَرِيرِ مِنَ النِّسَاءِ . وَإِنَّمَا الْفَضْلُ يَدْنُهُمَا لِمَنْ جَاءَ بِالْعَاقِبَةِ الْحَسْنِيِّ ،
وَلِمَنْ قَلَّ ضَرَرُهُ وَأَتَى بِالنَّفْعِ الْأَسْنَى^(١٠) ، وَشَتَّانَ فِي حُكْمِ الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ

(١) الْخَتْنُ : زوج الابنة

(٢) كَانَ الْمَرَبُّ يَكْرَهُونَ الْبَنَاتَ خَشْيَةَ الْعَارِ ، وَرَبِّعَا دَفَنُوا الْبَنْتَ حَيَّةً . وَقَدْ أَبْطَلَ الْإِسْلَامُ ذَكْرَهُ .

(٣) هو أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ الشَّاعِرُ الْفِيْلُوسُوفُ .

(٤) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيَّةٍ لَهُ كَلَمًا تَهْبِيْنَ لِلْمَرْأَةِ وَازْدَرَاءَ بَهَا .

(٥) مِنْ قَصِيَّةٍ لَهُ يَمْزِيْنَ فِيهَا عَنْ بَيْتِ تَوْفِيقٍ .

(٦) تَقْنَعُ الشَّيْءَ لِبَسِهِ .

(٧) الْلَامَةُ : الدَّرْعُ ، وَهُوَ مَا يَتَقَبَّلُ بِهِ الْمُحَارِبُ سَلَاحُ عَدُوِّهِ .

(٨) الْهَيْجَاءُ : الْحَرْبُ .

(٩) أَيْ لَابْسَةٌ ثُوبٌ حَرِيرٌ .

(١٠) الْأَسْنَى : الْأَرْفَعُ .

قائِد لِلْجَيْشِ مُعَلِّم^(١) ، وَعَذْرَاءٌ تُطَرَّزُ فِي ثَوْبَهَا وَتُنَمِّم^(٢) . ذَاكَ يُشِيرُ بِنَاهُ لِتَيَّسِمِ الْأَطْفَالِ وَلِتَخْرِيبِ الْبِلَادِ ، وَتَلَكَ يُشِيرُ بِنَاهُ لِجَبَاتِ الْقُلُوبِ بِعَقْدِ الْوَدَادِ . وَفَرَقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ يَدِ مُخَضِّبَةِ الدَّمَاءِ ، وَأُخْرَى مُخَضِّبَةِ الْحَنَاءِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَحْتَضِنُ الْأَطْفَالَ وَيُرْبِّيهَا وَبَيْنَ مَنْ يُشَتِّتُهَا وَيُعَذِّبُهَا ، وَبَيْنَ كَفَّ لِاحِلْيَةِ لَهَا إِلَّا السَّيْفُ الْبَوَارِ ، وَأُخْرَى إِنَّا حَلَيْتُهَا الْخَوَاتِمَ وَالْأَسَاوِرَ ، وَكَمْ جَلَبَتْ تَلَكَ مِنْ فَظَائِعَ مَشْهُورَةٍ ، وَكَمْ لِهَذِهِ مِنْ يَدِ يَهْضَاءِ مَشَكُورَةٍ :

وَلَيْسَ الْخَمْسُ^(٣) ضَارِبَةً بِسَيْفٍ نَظَرِيْرَ الْخَمْسِ ضَارِبَةً بِدُفٍّ أَبَاغِي حَظَهُ بِقَنَا^(٤) وَخَيْلٍ كَبَاغِيِّ بَنْوَالٍ وَحَفَ^(٥) وَمَوْلَايٍ – أَعَزَّ اللَّهُ الْفَضْلَ بِوْجُودِهِ – يَعْلَمُ حَكَايَةً إِحْدَى الْعَذَارَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِذْ رَدَّتْ بِوَقْفَةٍ مِنْهَا أُمَّامَ الْجَيْشِ غَربَ^(٦) الْجَيْشِ عَنْ قَصْدِهِ ، وَأَدْخَلَتْ سَيْفَ الْقَاهِرِ الْجَبَارِ فِي غَمْدَهُ ، وَنَجَّتْ قَوْمَهَا مِنَ الْخَرَابِ ، وَأَنْقَذَتْهُمْ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ ؛ حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَصِيدَةً فِي ذَلِكَ ؛ مِنْهَا : نَحْنُ قَوْمٌ نُذَيِّنُنَا الْأَعْيُنَ النَّجْلَ^(٧) عَلَى أَنَّا نُذَيِّبُ الْحَدِيدَ طَوْعًا أَيْدِيَ الْفَرَامِ تَقْتَادُنَا الْفَيْدَ^(٨) وَنَقْتَادُ بِالْطَّعَافِ الْأَسْوَدَا

(١) معلق عليه صوف ملون في الحرب . (٢) فنم الشيء : زخرفة وزينة .

(٣) يزيد الأصابع الخمس . (٤) القنا : الرماح .

(٥) المنوال : الحشب الذي يلف عليه الثوب وكان النسج من صنبع النساء ، والمحف من حفت المرأة وجهها من الشعر : أَزَالَتْهُ .

(٦) غرب الشيء : حدده ، والمراد : ردته عن وجهه .

(٧) النجل : جمع نجحاء ، وهي العين الواسعة الحسنة .

(٨) الغيد : جمع غيداء ، وهي الينبة الأعطاف .

والأخرى التي لها مَا يُعَاَثِلُ ذلك مع أحد ملوك الفُرْسٍ وهو يُحارب قوَّمَهَا في بلاد يَهُودَا أثناء الزَّمَنِ الْأَوَّلِ، إلى غير ذلك من هَذِهِ الواقِعَةِ.

هذا مَا فَوَّى وَقَعَ المُصِيبةُ فِي نَا، وَأَمَدَ^(١) جِيُوشَ الْهَمُومَ عَلَيْنَا. أَمَّا مَوْلَايَ الْوَزِيرِ فَمَا يُبَعِّدُ الْأَسْفَ مِنْهُ، وَيُزِيلُ الْكَدَرَ عَنْهُ، عَلِمَهُ بِضَوْءِ حِكْمَتِهِ، وَنُورِ فَلْسَفَتِهِ، أَنَّهُ مَا فَقَدَ تَلِكَ الْفَقِيَّةَ، وَمَا صَارَتْ عَنْهُ بَعِيدَةَ، فَهُوَ يَسْتَدِّشُهَا فِي رَوَابِعِ الْأَزْهَارِ، وَيَرَاهَا فِي أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ، وَيَسْمَعُ صُوتَهَا فِي صَوْتِ الْأَطْيَارِ، وَتَمُرُّ عَلَيْهِ فِي رَيْحِ الصَّبَّا^(٢) مِنْ لِيَالِي الرَّيْعِ، وَيُشَاهِدُهَا فِي كُلِّ شَكْلٍ لطِيفٍ أَوْ بَدِيعٍ.

أَللَّهُمَّ اللَّهُ عَلَيْهَا جَزِيلُ الصَّبَرِ، وَأَلْبَسْ مَوْلَايَ الْوَزِيرِ ثُوبَ الْأَجْرِ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وقال في وصف الصباح (من كتابه : حديث عيسى بن هشام) :

جَلَسْنَا نَتَجَاذِبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ، مِنْ قَدِيمِ زَمَانٍ وَحَدِيثِ، إِلَى أَنْ صَارَتِ اللَّيْلَةُ فِي أُخْرَيَاتِ الشَّبَابِ، وَاسْتَهَانَتْ بِالْإِزارِ وَالنَّقَابِ، ثُمَّ دَبَّ الْمَشِيدُ فِي فَوْدَهَا^(٣)، وَبَانَ أَمْرُ الْوَضْعِ^(٤) فِي جَلْدِهَا، فَعِبِّثَتْ بِالْعُقُودِ وَالْقَلَائِيدِ، مِنَ الْجَوَاهِرِ وَالْفَرَائِدِ، وَنَزَعَتْ مِنْ صَدْرِهَا كُلَّ مُنْثُورٍ وَمُنْظُومٍ

(١) جاء إليها بالمد .

(٢) الصبا : ربع مهبهها جهة الشرق .

(٣) الفود : الشعر الذي في جانب الرأس مما يلي الأذنين من الأمام .

(٤) وضع الجلد : ما يصيبه من البرص ونحوه . ويكتفى الكتاب به عن ضوء الصبح .

مِنْ دُرَرِ الْكَوَاكِبِ وَلَا لِئِ النُّجُومِ ، وَأَنْقَتْ بِالْفَرْقَدَيْنِ^(١) مِنْ أَذْنِهَا ،
وَخَلَعَتْ خَوَاتِيمَ التَّرَيَا^(٢) مِنْ يَدَيْهَا ، ثُمَّ إِنَّمَا مَنَّقَتْ جِلْبَابَهَا ، وَهَتَّكَتْ
حِجَابَهَا ، وَبَرَزَتْ لِلنَّاظِرِينَ كَجُوزًا شَطَاءً^(٣) ، تَرَعَدَ مُتَوَكِّةً عَلَى عَصَامِ
الْجُوزَاءِ^(٤) ، وَتَرَدَّدَ آخَرَ أَنْفَاسَ الْبَقاءِ ، فَسَرَّهَا الْفَجْرُ بِمُلَائِتِهِ الْزَّرْقاءِ ،
وَدَرَجَهَا^(٥) الصُّبْحُ فِي أَرْدِيَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، ثُمَّ قَبَرَهَا فِي جَوْفِ الْفَضَاءِ ، وَقَامَتْ
عَلَيْهَا بَنَاتُ هَدِيلٍ^(٦) ، نَائِحَةً بِالْتَسْجِيعِ وَالْتَّرْتِيلِ ، ثُمَّ انْقَلَبَ الْمَائِمُ فِي الْحَالِ
عُرْسَ اجْتِلَاءٍ ، وَتَبَدَّلَ النَّحِيبُ بِالْغَنَاءِ ، لِإِشْرَاقِ عَرْوَسِ النَّهَارِ ، وَإِسْفَارِ
هَلَيْكَةِ الْبَدُورِ وَالْأَقْتَارِ .

وَقَالَ فِي وَصْفِ الْأَهْرَامِ :

وَقَفَنَا هُنَاكَ موقَفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، قُبَالَةَ ذَلِكَ الْعَلَمِ^(٧) الَّذِي يَطَّاولُ
الرَّوَابِيَّ وَالْأَعْلَامِ ، وَالْمَهْضَبَةِ الَّتِي تَمْلُو الْمَهْضَابَ وَالْآكَامِ^(٨) ، وَالْبَنِيَّةِ^(٩) الَّتِي
تَشْرُفُ عَلَى رَضْوَى وَشَمَامِ^(١٠) ، وَتُبَلِّي بِيَقَانِهَا جَدَّةَ الْلَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَتَطْوِي تَحْتَ
ظِلَالِهَا أَقْوَاماً بَعْدَ أَقْوَاماً ، وَتُفْنِي بِدَوَامِهَا أَعْمَارَ السَّنَينِ وَالْأَيَّامِ ، خَلَقَتْ
بَيْكَبُ الدَّهْرِ وَهِيَ فِي ثَوْبَهَا الْقَشِيبِ ، وَشَابَتْ الْقُرُونَ وَأَخْطَطَ قَرَنَهَا وَخَطَّ
الْمَشِيبَ ، مَا بَرِحَتْ ثَابِتَةً تُنَاطِحُ مَوْاقِعَ النُّجُومِ ، وَتَسْخَرُ بِشَوَّاقِ الشَّمْبِ

(١) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالي ، يهتدى بهما في الليل ، وقد شبههما بالقرط في أذن المرأة .

(٢) جموع كواكب .

(٣) الجوزاء : برج في السماء .

(٤) بنات هديل : الحمام .

(٥) الآكام : جم أكمة ، وهي التل .

(٦) رضوى وشمام : جبلان .

(٧) مهى البياض في شعرها .

(٨) درجها : طولها .

(٩) قبالة : أيام وتجاه . والعلم : الجبل .

(١٠) البنية : البناء .

والرجوم، وتحدث حديث المشاهدة والعيان، ما تعاقب الفتىآن^(١)، وتناؤب الملوان عن قدرة هذا الإنسان، في بداع الصنع والإتقان، وتنبئ عن قوة هذا الضعيف الضئيل، في إقامته مثل هذا الأثر الجليل، وكيف لهذا الفنان البائد، أن يتصدر عنده مثل هذا الباقي الخالد - وجلل صنع القدير الخالق، في تصوير هذا الحيوان الناطق، حيث جعله متصدرًا للأعمال المتناقضة، والأفعال المستغيرة المتعارضة، فيیناً تراه يتصدر إلى أجرام النساء وعوالمها، ويبحث بفکره في رسومها، ومعالمها، ويسيرو بعلمه في أنحائها ومناكبها، ويهتدى لحساب أقاربها وكواكبها، إذ تراه يعشّ عترة برجله، فيكون فيها مُنتهي أجله، أو يكتب في طريقه، فيهِصْ بريقه. ذاك الذي كبر وصغر، وعظم وحقير، وعز وذل، وكثير وقل، وصعد وهبط، وعلا وسقط، وصلاح وفسد، وعرف وجحد، وسعد وشقي، وفي وابق، وسبحان القاهر فوق عباده.

٢١ - مصطفى صادق الرافعى^(٢)

قال يصف البلاغة النبوية :

هذا البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت^(٣)

(١) الفتىآن والملوان • الليل والنهار •

(٢) عنى في مطلع حياته بالشعر، فأخرج ديواناً في ثلاثة أجزاء، ثم تجرد للنشر، فأجاد فيه، وترك النظم إلا في النادر وهو قوى التوليد المعانى، بالنم التجويد للإفاظ، واسع الاطلاع على الأدب العربي، وقد كان شديد الغيرة على المروبة، وكان يكثر من المجازات والتبيهات، ويتغير من الألفاظ الجزل والخم. توفي سنة ١٩٣٧ م.

(٣) حسرت المقول : ارتدت وتخاذلت.

الْعُقُولُ دُونَ غَايَاتِهَا . لَمَّا تُصْنَعَ ، وَهِيَ مِنَ الْإِحْكَامِ كَأَنَّهَا مَصْنُوعَةً ، وَلَمَّا
يُتَكَلَّفَ لَهَا ، وَهِيَ عَلَى الشَّهُوَةِ بَعِيدَةٌ مَمْنُوعَةٌ^(١) .

الْفَاظُ النَّبُوَّةِ يَعْمَرُهَا قَلْبٌ مُتَّصِلٌ بِجَلَلِ خَالقِهِ ، وَيَصْقُلُهَا إِسَانٌ نَزَلَ
عَلَيْهِ الْقُرْآنُ بِحَقَائِقِهِ ، فَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَحْيِ ، وَلَكِنَّهَا جَاءَتْ
مِنْ سَبِيلِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْهُ دَلِيلٌ ، فَقَدْ كَانَتْ هِيَ مِنْ دَلِيلِهِ .

مُحْكَمَةُ الْفُضُولِ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عُرْوَةٌ مَفْصُولَةٌ ، مَحْذُوفَةُ الْفُضُولِ .
حَتَّى لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ مَفْضُولَةٌ .

وَكَأَنَّهَا هِيَ فِي اخْتِصَارِهَا وَإِفَادَتِهَا ، نَبْضُ قَلْبٍ يَتَكَلَّمُ ، وَإِنَّهَا هِيَ
فِي سُمُودِهَا وَإِجَادَتِهَا ، مَظْهَرٌ مِنْ خَوَاطِرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إِنْ خَرَجَتْ فِي الْمُتَوْعِظَةِ ، قُلْتَ : أَئِنِّي مِنْ فُؤَادٍ مَقْرُوحٍ ، وَإِنْ
رَأَيْتَ بِالْحِكْمَةِ ، قُلْتَ : صُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ مِنَ الرُّوحِ فِي مَنْزَعٍ^(٢) يَلِينُ
فَيَنْفُرُ بِالدَّمْوَعِ ، وَيَشْتَدُ^(٣) ، فَيَنْزُو^(٤) بِالدَّمَاءِ .

وَإِذَا أَرَاكَ الْقُرْآنُ أَنَّهُ خِطَابُ السَّمَاوَاتِ الْأَرْضِ ، أَرَاكَ هَذَا أَنَّهُ كَلامُ
الْأَرْضِ بَعْدَ السَّمَاوَاتِ .

(١) أى تفتتح على من يحاول محاكمتها .

(٢) مَنْزَعٌ — هنا — : أسلوب .

(٣) يَنْفُرُ بها : يدفعها

(٤) يَنْزُو : يثب .

(ب) الشعر

١- الخشاب^(١)

كتب على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قل للرَّئِيس أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدٌ خَدْنُ الْمَعَالِي وَالسَّرِّيُّ الْأَنْجَدُ^(٢)
وَالْحَادِقُ الْفَطَنُ الْلَّبِيدُ أَخِي الدَّكَّا
ذَهَبَتْ بِشِعْرِكَ فِي الْحَضِيْضِ الْأَوْهَدِ^(٣)

* * *

فَغَدَتْ مَشَارِعَ لَيْسَ يَنْجُوهَا صَدِى^(٤) كَدَرَتْ مِنْهُ بِمَا صَنَعْتَ بِجُورَهُ
تَقْدَ الْبَصِيرِ بِذِهْنِكَ الْمُتَوَقَّدُ فَإِذَا نَظَمْتَ فَكُنْ لِنَظَمِكَ نَافِدًا
مِنْ قَوْلِهِمْ مَا شَعْرُهُ بِالْجَيْدِ أَوْ لَأَفْدَعْ تَكْلِيفَ نَفْسِكَ وَاسْتَرْخَ
فَلَقَدْ بَذَلتُ النُّصْحَ لِلْمُسْتَرِشدِ^(٥) وَلَئِنْ عَنْفَتْ^(٦) عَلَيْكَ فِيمَا قُلْتَهُ

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد إسماعيل الخطاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد علي باشا الكبير وقد توفي سنة ١٢٣٠ هـ وله ديوان شعر مطبوع بالاستاذة

(٢) الخدن بكسر الحاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب ، والسرى : السيد الشريف السخي .

(٣) اللوذعى : الذكرى الذهن . والألمعى : الذكرى المتوقدة الكاء .

(٤) القربيض : الشعر . والحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ؛ والأوهد : العظيم الانخفاض . والمراد أن شعره نزل إلى أسفل الدرك ، وقد صرف (مذاهب) لضرورة الشعر .

(٥) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونموجه . والشارع جم مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء . وبنجوها يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد المطش .

(٦) عنفت : قسوة . والمسترشد : طالب الرشد والمداية .

وقال متفزلا :

يَا شَقِيقَ الْبَسْدُرْ نُورًا وَسَنِي
وَأَخَا الْغُصْنِ إِذَا مَا أَنْعَطَهَا^(١)
بِأَبِي مِنْكَ جَبِينًا مُشْرِقًا
لَوْ بَدَا لِلنَّيْرِينِ أَنْكَسَهَا^(٢)
بِعَيْتِي مِنْكَ رُضَابٌ وَرَحْنَا^(٣)
وَعَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا أَعْفَاهَا

٢ — الشيخ حسن العطار^(٤)

قال يتفرّل :

أَعْنَ الْمُحِبِّ ثَنَاكَ عَنْهُ وَجِيْبِهِ ؟^(٥)
هَجَرَ الْكَرْسِيَ لِمَا هَجَرَتْ وَوَاصَةٌ
لَمْ يَجِنْ ذَنْبًا فِي هَوَاكَ ، وَإِنَّا
أَفَقَرْتَهُ مِنْ حُسْنٍ وَصَلَكَ بَعْدَ مَا
لَوْ لَقَا عَطْفَتِكَ مِنْهُ شَكَايَةٌ
لَرَأَيْتَ جِنْهَا كَالْخِلَالِ مِنَ الضَّنَا^(٦)
وَلَهِيبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذِيْبُهُ^(٧)
أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى الْبَعَادِ رَقِيْبِهِ ؟^(٨)
هُشْجُونُهُ وَازْدَادَ فِيكَ نَحِيْبِهِ^(٩)
قَدْ كَانَ بِالْمِحْرَانِ مِنْكَ نَصِيْبِهِ
جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنَسِيْبِهِ^(١٠)
رَقَّتْ وَدَمْعٌ طَافِعٌ شُؤُوبُهُ^(١١)
وَلَهِيبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذِيْبُهُ^(١٢)

(١) السني : الرفة أو الضوء . وأنعطف : مال وانتفى .

(٢) بأبي : أندى بأبي . والنيران : الشمس والقمر .

(٣) الرضاب (بضم الراء) : الريق المرشوف . والغفاء : الها لاك .

(٤) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الملك الإسلامية ، ووصل بعد حراراً للواقف المصرية أول ظهورها . ثم صار شيخاً للزهر الشريف . وكان على علمه شاعراً كتابياً بليغاً ؟ توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

(٥) وجبيه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٦) الشجعون جمع شجعن بفتحتين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد .

(٧) النسيب : رقيق الشعر في الفزل .

(٨) عطفتك : أمالتك إليه وحبتك . الشؤوب بضم الشين : الدفع من المطر وجعه شأبيب .

(٩) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التي يتخلل بها . والضنا : الضعف والمزال .

صله لِتَسْتَبِقَ بِهِ الرَّمَقَ الَّذِي
لَوْلَا الْأَمَانِي مَا بَقِيَ مَوْهُوبَهُ^(١)
أَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبَرَ فِيكَ تَأْسِيَا
وَالصَّبَرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُ نَجِيَّبَهُ^(٢)
وَبُلِيتُ مِنْكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَدَّ
دَى تَحْوَ طَوِيدٌ أَنْقَلَتَهُ كُرُوبَهُ^(٣)

* * *

أَفَلَا رَأَيْتَ لَعَاشِقَ لَعْبَتْ بِهِ
أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمَنْ عَجَبٌ تُعَذِّ
أَيْدِي الْمُؤْنَ وَنَازَعَتْهُ خُطُوبَهُ^(٤)
ذِبَّهُ ، وَتُرْضَهُ وَأَنْتَ طَبِيعَهُ

وقال متغزاً :

أَنَا رَاضٌ مِنْكَ يَا كُلَّ الْمُنَى
لَسْتُ أَبْغِي مِنْ زَمَانِي حَاجَةً
بِالَّذِي تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الْفَرَامِ
غَيْرَ أَنْ تَحْيِيَا سَعِيدًا وَالسَّلَامِ

وقال يصف بِرِ كَهَ الْأَزْبَكِيَّةَ :

بِالْأَزْبَكِيَّةِ طَابَتْ لِي مَسَرَّاتُ
حَيْثُ الْمِيَاهُ بِهَا وَالْفَلَكُ سَابِحَةٌ
وَلَذَّ لِي فِي بَدِيعِ الْأَنْسِ أَوْقَاتٌ
كَانَهَا لِبِدُورِ الْحَسْنِ هَالَاتٌ^(٥)

(١) الرمق : بفتحتين بقية الحياة يقول : إنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بال مجر ، بل أستيقها بالوصل .

(٢) التأسي : التصبر والتعزى . والنجيب : البعير السكريم .

(٣) اللالحي : الشاتم العائب والطود بفتح الطاء وسكون الواو . الجبل العظيم . كروبه مصاببه الشديدة .

(٤) رُثى له : رق له وعطاف عليه . المنون : الموت .

(٥) الفلك — بضم الفاء وسكون اللام : السفينة وأنفظ جمعه كلفظ مفرده . والمراد بـ (الزهر) بضم الزاي : النجوم المشرقة .

(٦) الحالات : جم هالة ، وهي الدائرة التي ترى حول القمر .

وَالْمَاءِ حِينَ سَرَى رَطْبُ النَّسِيمِ بِهِ
وَحَلَّ فِيهِ مِنَ الْأَدْوَاجِ زَهْرَاتٌ^(١)
كَسَابِغَاتٍ دَرْوِعٌ فَوْقَهَا نَقْطَةٌ
مِنْ فِضَّةٍ، وَأَحْمَرَ الْوَجْهِ طَعْنَاتٌ^(٢)

٣ - السيد على الدرويش

قال يرثى صديقه الشيخ على الغلبانى :

وَهَلْ أَمْلَى إِلَّا حِبَالُ الْمَصَادِ^(٤)
وَرَائِدُ مَوْتٍ كَامِنٌ فِي وَرَائِدٍ^(٥)
وَلَا تِقَةٌ لِي بِالنَّذِيرِ الْمُعَاہَدِ
وَأَسْتَقْرِبُ الْمَجْهُولَ، وَهُوَ مُبَاعِدٌ
بِغَشِ زَيْوَفِ عَدَّهَا كُلَّ نَاقِدٍ^(٦)
وَعِنْدُهُمْ تَفَصِيلٌ نَقْصَى وَرَائِدٍ
مُدَاهَنَةٌ فِي اللَّهِ، صُورَةُ حَابِدٍ^(٧)
لَمَيْتُ غَدًا، لَكِنَّ لِي حِرْصٌ خَالِدٌ
أَفِرِثُ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَهُوَ مُطَارِدٌ
وَأَرْصُدُ أَفْقَ الْوَهْمِ وَالْأَمْلُ الشَّهَى
وَهَقْتُ بِآمَالِيِّ، وَلَمْ تَفْ مَرَّةٌ
فَأَسْتَبِعَدُ الْمَعْلُومَ، وَهُوَ مُقَارِبٌ
وَمِنْ عَتَّهُ خَلَتُ التَّجَاهُرَ خَافِيًّا
أَحَادِرُ مَرَأَى النَّاسِ لَا اللَّهُ فِي الْهَوَى
لَأَمَارَتِي بِالسُّوءِ مُسْتَعْبَدٌ وَلِي
أَبْلَغُ فِي الإِسْرَافِ حَتَّى كَانَى

(١) الأدواج : جمع دوحة بفتح الدال ، وهي الشجرة العظيمة .

(٢) الدروع : جمع درع وهي القميص من زرد الحديد يلبسه المحارب يتقى به سلاح العدو . والدروع السابقات : الطويلة الضافية . والشاعر يشبه البركة وما يملوها من الزبد والفقاقيع بالدرع الضافية ترقص بالفضة ، وبشبه الورد فيها بالدم من آثار الطعنات .

(٣) هو السيد على أفندي الدرويش بن حسن المصرى ، كان أدبياً شاعراً ولوعاً في شعره ونثره بالمحسنتات البدوية للغاية القصوى وهو أبرع من علم في التواريف الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفى سنة ١٢٧٠ هـ

(٤) الحantom : الحادث الذى لا مفر من وقوعه .

(٥) ورائد موتي : وطالب موتي . ورائد : جم وريده . وهو عرق في العنق .

(٦) عتمى : المته بفتحتين ناقص العقل بلا جنون . زيوف . جم زيف بفتح فسكون وهو الدرهم المفشوش . يقول : ومن ناقص عقل وقصور تفكيرى ظننت أن الجهر بالأمور الباطلة المفشوسة التي راج غشها على الناس أمر خاف على الله .

(٧) أمارتى بالسوء : نفسى . المداهنة في الله : أن تظهر له خلاف ماتبطئ . يقول : لاني مستبعد لنفسى خاضع ليولها ولكننى أظاهر خلاف ما أبطئ نفانا ومداهنة ، فأظاهر بصورة العابد الطائع ، على حين أجارى نفسى وأخضع لها في الحفاء .

٤ - الشِّيخ شَهَاب^(١)

قال من قصيده التي أنشأها لكتب حول «جامع القلعة» :

عَرْمُوسٌ كُنُوزٌ قَدْ تَحَلَّتْ بِعَسْجَدٍ مُكَلَّمَةٌ تِيجَانُهَا بِالزَّرْجَدِ
أَمِ الْجَنَّةُ الْمَبْنَى عَلَى قُصُورِهَا
أَمِ الْمَكْرُمَاتُ الْأَصْفَيَّةُ أَبْدَعَتْ
هُوَ الْفَلَكُ الْأَعْلَى تَنَزَّلَ وَأَرْدَهَا
إِلَّا إِنَّ تَجْدِيدَ الْعَجِيبِ مِنَ الْبِنا
فَدَعَ قَصْرَ غُمْدَانَ وَأَهْرَامَ هُرْمُسِ
وَدَعَ إِرَمًا ذَاتَ الْعِمَادِ وَنَحْوَهَا
وَدَعَ أَمَوَى الشَّامِ وَأَنْزَلَ بِعِصْرَنَا
فَلَوْ عُدَّتْ فِي الْكَوْنِ بَدْءٌ بَدَائِعَ
كَانَ الْلَّيَالِي الْوَالِدَاتِ عَجَائِبِ

وَرَشَّا لِبَقِيسٍ كَصْرَحَ مُمَرَّدٍ
وَبَادِرَ إِلَى هَذَا بِإِيمَاءِ مُرْشِدٍ
لَكَانَ بِهِ خَتْمٌ لِذَاكَ التَّعَدُّدِ
أَصْبَنَ بِعَقْمٍ بَعْدَ هَذَا التَّوَلْدِ^(٢)

(١) هو شهاب الدين محمد بن إسماعيل المكي الأصل المصري للنشأ . كان شاعراً متادياً موسيقياً ، اشتغل في الكتابة بالواقع المصرية أول ظهورها مساعدًا لشيخ حسن العطار ، ثم كان رئيساً لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجمل مؤلفاته سفينة التي حفظت كثيراً مما كانت تتغنى به العامة في عصره وقبيله . وتوفي سنة ١٢٧٥ هـ .

(٢) الآصفية : نسبة إلى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، والهيولى عند القدماء . الطينة التي خلق منها العالم .

(٣) يزيد بأموي الشام : جامِ دمْشَقَ الظَّلِيمِ .

(٤) يقول كأن الليالي التي تلد العجائب أصبت بسد بناء هذا الجامِ بعقم ، فكان آخر مولد من عجائبها لروعته وإعجاز هندسته . وفي البيت إشارة لقول الشاعر القديم :

والليالي من الزمان حبلى مثقلات يلدن كل عجيبة

هـ — الشِّيْخُ نَاصِيفُ الْيَازِجِيُّ^(١)

قَالَ فِي الغَرَّلِ :

حَوَّاكَ وَقَدْ حَلَّتَ بِكُلِّ قَلْبٍ
نَزَّلتَ بِهِ عَلَى طَلَلٍ تَفَانَىٰ
أَطْعَتَ الْعَادِلِينَ بِقَتْلٍ صَبَّ
تَعَزُّ كَرَامَةً، وَيَهُونُ ذُلُّا

فُوَادُ لَمْ يَحُلَّ بِهِ سِواكَا
وَلَسْتَ بِمَنْ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكِيٰ
يُرِيدُ الْقَتْلَ لَكِنْ عَنْ رِضَاكَا
فَتَأْنَفُ أَنْ يَقُولَ : دَمِي فِدَاكَا

وَقَالَ :

كُفَّ عَنِّي لَا أَبَاكَ
قَدْ تَبَيَّنَتْ مِحَالَكَ^(٢)
قَدْ عَرَفْتَكَ وَإِلَّا
قَدْ مَضَى إِلَيْكَ عَصْرٌ
حَسْبُ قَلْبِي مِنْكَ جَوْرٌ
وَكَفَانَا مَا احْتَمَلْنَا
سَرَى النَّادِمَ مِنْ
فَالَّذِي وَيُسِيءُ اللَّهُ

(١) هو ناصيف بن عبد الله اليازجي ، شاعر من كبار الأدباء والمنشئين ، له بحوث مختلفة في فقه اللغة وله كتاب « جمع البحرين » ، وهو مجموعة مقامات مثل مقامات الحريري ، وكتب أخرى في النحو ، وتوفي سنة ١٢٨٧ هـ .

(٢) الطلل : الشاخص من آثار منزل قديم . يقول : نزلت بقلبي على أثر بال من شدة الوجد والوله ، تفاني فيك غراما ، ولكنك لم تبك عليه ولم ترق له ، شأن الذين يشهدون الآثار البالية فيأسفون عليها .

(٣) الحال بكسر الميم الحديدة والكيد .

وقال من قصيدة يرثى بها صديقا له :

بِجَاءَنِي غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ
رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لِكُنْ كَيْفَ أَصْطَبُهُ
دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيْءٍ عِنْدَهَا السَّهْرُ
كَالْكَوْمَرِ الْعَذْبِ لَا يَغْتَالُهَا كَدْرٌ^(١)
خُزْنُهُ فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَدْرٌ^(٢)

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْبُشْرَى بِرَؤْيَتِهِ
إِنْ كَانَ قَدْفَاتَ شَهْدُ الْوَاصِلِ مِنْهُ فَقَدْ
أَحَبَ شَيْءٍ لِعِينِي حِينَ أَذْكُرُهُ
هَذَا الصَّدِيقُ الَّذِي كَانَتْ مَوَدَّتُهُ
لَا غَرَّ وَإِنْ أَحْزَنَ الْزَّوْرَاءَ مَصْرَعَهُ

وقال يرثى صديقا آخر له :

مِنَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا أَعْتَدَى
كَانَتْ لِهِ بَرِّهَا الدَّرَارِي حُسْدًا
إِصْ الْمَنِيَّةَ خَاطِفًا مُتَمَرِّدًا^(٣)

الْمَوْتُ يَخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِهِ
قَدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةً مَكْنُونَةً
كَنْزٌ ذَخَرَنَاهُ لَنَا فَاغْتَالَهُ

وقال يرثى طيبا من أصدقائه :

فَإِذَا تَمَوْتُ ذَاكَ الطَّبِ مَا نَفَعَنَا^(٤)
يُبَرِّي جَرَاحَ فُؤَادٍ بَعْدَهُ أَنْصَدَعَا^(٥)
جِسْمًا يُرْكَى فِي تُرَابِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعًا
فَانْحَطَ هَذَا وَهَذَا طَارَ مُرْتَفِعًا^(٦)

قَدْ كَانَ فِي طِيَّهِ لِلنَّاسِ مَفْعَةً
وَكَانَ يُبَرِّي مِنَ النَّاسِ الْجَرَاحَ فَهَلَّ
صَارَتْ إِلَى اللَّهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً
كُلُّهُ إِلَى أَصْلِهِ قَدْ عَادَ مُنْقَلِبًا

(٢) الزوراء : مدينة حلب .

(١) يغتالها : يخالطها فيقضى عليها .

(٣) فاغتاله : فقتلته خفية .

(٤) انصدع : انشق . وهذا كناية عن شدة وقع المصيبة عليه .

(٥) يقول : قد رجم جسمه وروحه إلى أصلهما بعد موته ، فالروح ارتفع إلى الله في السماء والجسم عاد إلى تراب الأرض الذي خلق منه في الأصل .

٦ - السيد على أبو النصر^(١)

قال يتحسر على فراق أحبابه :

وأودع في حشاشتي الولوعاً^(٢)
وأنزعني التذلل والخضوعاً^(٣)
على كبدى فقومت الضلوعاً^(٤)
وتمنعه السكينة والهجوعاً^(٥)
ويصبح راجياً منهم رجوعاً
حقائق لا يزال بها ولوعاً^(٦)
كأن الوهم أبدسه دروعاً
ومفرد عزمه عز الجموعاً^(٧)
إلى حي أحمل بك الهلوعاً^(٨)

لقد ذهب النوى بمحمي صبى
والبسنى الأسى خلع التمنى
ونار الشوق أغرها غرائب
ولي قلب تقلبه شجوني
بيدت مع الأحيبة حيث كانوا
يرى أصنفات أحلام الأمانى
تطوف به الحوادث وهو لا
ورب مكابد عانى خطروبا
واقاتلة : إلام تحن شوقاً

(١) هو المريض العالم الشاعر الزجال ، أصله من منفلوط بأسيوط ، درس بالأزهر وبرع في الأدب واتصل بالبيت الحديوى من عهد محمد على باشا الكبير إلى عهد توفيق باشا ويعده شعره متوسطاً ، وله ولع بالتاريخى الشعرى ، وقد توفي سنة ١٢٩٨ هـ

(٢) النوى : البعد والفرقة ، والخشاشة بضم الماء : بقية الروح . والولوع بفتح الواو : شدة العشق

(٣) الأسى : الحزن والهم . خلع : جمع خلعة بكسر فسكون ، وهى التوب الذى يعطى منحة .

(٤) يريد أن نار الشوق لشتها جعلت أضلاعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية .

(٥) الهجوع : النوم في الليل .

(٦) أصنفات الأحلام : اختلطات المتبعة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع ، وهو الحب .

(٧) عز الجموع : غلبها .

(٨) الحي : منازل القوم . والهلوع بضم الماء . الجزع .

فَقُلْتُ لَهَا : وُقِيتِ الْبَأْسَ ؛ إِنِّي أَوْدُ بِحَيَّهِمْ أَذْعَى هَلْوَاعاً^(١)
أَبْعَدَ فَرَاقَهُمْ تَرْمَاتَحُ رُوحِي وَتَرْجُو سَاعَةً أَنْ لَا تَلُواهُ^(٢)
فَهُمْ رُوحِي وَرِيحَانِي وَرَاحِي فَكَيْفَ أَرَى إِلَى السَّلْوَى نُزُوعَاهُ^(٣)
وَقَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ :

نُورُ زَاهِي الرَّوْضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحِ
وَنَجْوَمُ تَرْدَهِي فِي أَفْقَهِيَا
لَا وَلَا بَلْ بَدْرُ ثُمَّ يَنْجَلِي
بِعُجَيْباً يَزْدَرِي شَمْسَ الْفُصَاحِ^(٤)
وَقَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ مُتَغَزِّلاً :

رِسَالَةُ مِنْ كَلْفٍ عَنِيَّدٍ حَيَاَتُهُ فِي قَبْضَةِ الصُّدُودِ^(٥)
بِلَفْغَةِ الشَّوْقِ مَدَى الْجَهُودِ مَا فَوْقَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ مَزِيدٍ^(٦)
وَاهَا عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجْدٍ

(١) الْبَأْسُ : الشدة . اهلوع بفتح الهاء الشديد الجزع .

(٢) تَلَوْعَ : تَمْسَحُها حرقَةُ الحزن .

(٣) الْرَّاحِ : الْخَرْ ، وَنُزُوعَاهُ : مِيلًا .

(٤) النَّدَائِي : جمع نَدِيم ، وَهُمُ الْقَوْمُ يَجْتَمِعُونَ لِلشَّرَابِ . الْأَغْتِبَاقِ : الشُّرُبُ بِالْعَشِيِّ . وَالْأَصْطِبَاحِ : الشُّرُبُ فِي الصَّبَاحِ .

(٥) الْحَيَا : الْوَجْهِ . يَزْدَرِي : يَحْتَقِرُ . تَعِيَا : تَمْجِزُ .

(٦) كَلْفٌ : مشتاق .

(٧) مَدَى الْجَهُودِ : نِهايَةُ الْجَهُودِ ، يَقُولُ إِنَّ الشَّوْقَ بَلَغَ بِهِ غَايَةً لَا يُسْتَطِعُ احْتَالَهُ بَعْدَهَا :

جَارٌ عَلَيْهِ حَاكِمُ الْفَرَّامِ فَدَقَّ أَنْ يُدْرِكَ بِالْأَفْهَامِ^(١)
فَلَوْ أَتَاهُ طَارِقُ الْحَمَامِ لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ^(٢)
إِلَّا إِذَا صَدَرَهُ فِي الْبُرْدِ

* * *

لَهُ اهْتِزَازٌ وَأَرْتِيَاحٌ وَطَرَبٌ لِوَجْهِهِ مِنْ أَوْرَثَهُ طَولَ الْكُرْبَ^(٣)
فَهَلْ سَمِعْتُمْ فِي الْأَحَادِيثِ الْعَجَبِ بِعِنْ مُنَاهَ قَرْبُ مَنْ مِنْهُ الْعَطَابُ
وَمَنْ رَأَى الْغَيْ بِدِيلَ الرُّشْدِ

* * *

مَا الْعَذْرُ فِي الشَّلُوْعَ عَنْ غَزَالٍ مِنْقَطَعُ الْأَفْرَانِ وَالْأَشْكَالِ
تَسْتَخْلِفُ الشَّمْسُ لَدَى الزَّوَالِ ضِيَاءُ خَدِيهِ عَلَى الْلَّيَالِي^(٤)
فَصَارَ نُورُ الْبَدْرِ غَيْرَ مُجْدِي^(٥)
وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

حُرُوفُ وُدُّي وَسَائِلُ وَالدَّمْعُ جَارٍ وَسَائِلُ^(٦)
وَلَوْعَةً تَضْرِيقُ عَنْهَا الرَّسَائِلُ^(٧)

(١) الأفهام : العقول.

(٢) الحمام بكسر الحاء : الموت.

(٣) الْكُرْبَ بضم ففتح : المصائب التي تُكرِبُ النفس.

(٤) نور خديه يختلف الشمس بعد الغيب فيطلع على الليالي ساطعاً فينيرها.

(٥) غير مجد : غير نافع.

(٦) وسائل (الأولى) جمع وسيلة. أما الثانية فالواو حرف عطف و « سائل » اسم فاعل من : صالح يصل.

(٧) اللوعة : حرفة الهوى. والشجون : جمع شجن بفتحتين ، وهو الحم والحزن.

لِي فِي هَوَاكُمْ غَرَامٌ - طَولَ الْمَدَى - غَيْرُ زَائِلٍ
 لَمَّا هَجَرْتُمْ وَبَانَتْ صَبَابَتِي لِلْعَوَادِلِ^(١)
 دَخَلْتُ دَارَ أَصْطَبَارِي خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ^(٢)
 فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ : جُودِي بِالْمُرْسَلَاتِ الْهَوَامِلِ^(٣)
 وَقَدْ أَمْرَتْ يَرَاعِي خَفَطَ مَا أَنَا قَائِلٌ^(٤)
 وَحْبِكُمْ فِي ضَمَّيرِي سِوَاهُ زُورٌ وَبَاطِلٌ
 وَمَذْحَكُمْ - كُلَّ وَقْتٍ - فَرَائِضُ لَا نَوَافِلِ^(٥)
 وَإِنْ سَأَلْتُمْ فَإِنْ بِشْكُرْكُمْ لَا أُمَاطِلِ^(٦)
 أَوْآخِرُ الشَّوْقِ عِنْدِي إِلَى لِقَائِكُمْ أَوَائِلٌ

(١) الصِّبَابَةُ : شَدَّةُ الْعُشُوقِ.

(٢) جَعْلُ الْأَصْطَبَارِ دَارًا دَخْلَ فِيهَا ثُمَّ خَرْجٌ لَمْ يَسْتَفِدْ شَيْئًا.

(٣) الْمُرْسَلَاتُ : أَيُ الدَّمْوعُ الْمُرْسَلَاتُ ، أَيُ الْجَارِيَاتُ ، وَالْهَوَامِلُ : الْفَائِضُاتُ بِالْدَمْوعِ .

(٤) الْيَرَاعُ - فِي الْأَصْلِ - الْقَصْبُ ، وَالْمَزْمَارُ يَنْفَخُ فِيهِ رَاعِي الْإِبْلِ أَوِ الْغَنَمِ ، ثُمَّ اسْتِعْرَفُ الْأَقْلَامُ .

(٥) الْفَرَائِضُ : مَا يُجْبِي عَلَى الْإِنْسَانِ الْقِيَامُ بِهِ حَتَّى . وَالنَّوَافِلُ : مَا يَقُومُ بِهِ الْإِنْسَانُ طَلَبًا لِلتَّوَابِ وَلَيْسَ مُحْتَوِيًّا عَلَيْهِ فَعْلَهُ ، وَأَكْثَرُ مَا تَسْتَعْمِلُ فِي الصَّلَاةِ .

(٦) أُمَاطِلُ : أَتْرَاحِي وَأَسْوَفُ .

٧ - صفوت الساعاتي^(١)

قال رحمة الله يرث الأديب الشيخ حسن قويدر :

يا شمسَ فَضْلَ فَدَّتُكَ الشَّهْبُ قَاطِبَةُ
إِذْ عَنْكَ لَا أَنْجُمُ تُغْنِي وَلَا شَهْبُ
سَهْمُ الْمَنِيَّةِ كَادَ الْكَوْنُ يَنْقَلِبُ
الْعُمرُ يَوْهَبُ وَالْأَيَّامُ تُنْهَبُ
بِخَيْرِنَا لَفَدَّتُكَ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
وَلَا إِرْتَوَتْ بَعْدَكَ الْأَغْصَانُ وَالْعَذْبُ^(٢)
إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا النُّوبُ^(٣)
تَرْجُو الشُّفَاءَ وَأَنِّي يَنْجُحُ الْطَّلَبُ^(٤)
بَكَتْ عَلَيْكَ السَّما وَالْأَرْضُ وَاضْطَرَّتْ
كَانَنَا نَالَهَا مِنْ حَزْنِهَا طَرَبُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبَ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّ لَدِي
نِصْفَ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ

(١) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا ، شاعر مصرى ، ولد بالقاهرة وتعلم بها ، وانصل بشرف مكانة فلازمه في بعض وقائع وصفها في شعره ، ثم استخدم في المعية ثم في مجلس أحكام الجيزه والقلبوية . واشتهر بالساعاتي لبراعته في فن الساعات ، ولكن لم يحترفه ؛ وكان حلو الحديث حسن الماضرة ؟ مات سنة ١٢٩٨ هـ

(٢) الفيت : المطر . العذب بفتح العاف : الأغصان أيضاً .

(٣) القطر بفتح القاف : المطر . والنوب بضم النون وفتح الواو : المصائب واحدتها نوبة .

(٤) في هذا البيت استخدام ، فإن (سائلة) يعني فائضة بالدمع ، وفي قوله ترجو أعاد عليها الضمير بمعنى السؤال .

لَوْ كَانَ يَدْرِي فَوَادِي يَوْمَ نَكْبَتِهِ
 كَانَ الْفِدَاءُ وَهَذَا بَعْضُ مَا يَحِبُّ
 بِالرَّغْمِ مِنِّي حَيَاٰتِي بَعْدَ مَصْرِعِهِ
 سِيَّانَ فُرْقَةُ مَنْ أَحْبَبَتْ وَالْعَطَابُ^(١)

٨ - عبد الله باشا فكري

كتب إلى أحمد فارس الشدياق ردًا على قصيدة له :

تَفْدِيكَ نَفْسُ شَجَ عَلِيلٍ آسَى
 أَضْنَاهُ طُولُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ
 هَزَّتْهُ سَارِيَةُ النَّسِيمِ، وَقَدْ جَرَتْ
 فَكَانَ فِي طَيِّ الشَّمَالِ إِذَا اِنْتَنِي
 وَكَانَهَا حَمَلتْ إِلَيَّ رِسَالَةً
 كَلِيلَةٌ عَذْرَاءٌ وَافَتْ صَبَرَهَا
 يَفْتَرُ مَبْسُمَهَا بِخُسْنِ حَدِيثَهَا

عَزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الْآسِ^(٢)
 يَحْكِي لِفَرَطِ ضَنَاهُ ذَاوِي الْآسِ^(٣)
 بِشَهَادَةِ فَرْوَقَ أَرِيجَةَ الْأَنْفَاسِ^(٤)
 مِنْ نَشْرِهَا طَرَبَا، شَمُولَ الْكَاسِ^(٥)
 غَرَاءُ جَاءَتْ مِنْ أَغْرِيَ مُوَاسِي^(٦)
 مِنْ بَعْدِ طُولِ تَعَذُّرٍ وَشَمَاسِ^(٧)
 يَفْتَرُ مَبْسُمَهَا بِخُسْنِ حَدِيثَهَا

(١) بعد مصرعه : بعد موته . العطاب : الهاك .

(٢) هو الكاتب الشاعر المترجم عبد الله باشا فكري بن محمد أفندي بليغ ، ولد بـكفر دارس بالأزهر ، وأجاد التركية والعربيـة ؛ وقد ترقـ في المناصب حتى وصل إلى معـنة المفـور له سعيد باشا فـاحـاـيل باشا ؛ وكان يـكتـب عنـهمـ ماـكـابـاتـ كانت تعدـ نـموـذـجاـ مـتـبعـاـ فيـ المـكـابـاتـ الـديـوـانـيةـ ، وـكانـ كـاتـباـ بـليـغاـ يـتأـثـرـ الـبـديـعـ وـالـخـوارـزـمىـ بـالـتزـامـ السـجـعـ الـقصـيدـ وـالـمـحسـنـاتـ الـبـديـعـةـ . وقد تـوفـىـ سنـةـ ١٣٠٧ هـ .

(٣) الشـجـىـ : المـهـمـومـ ، الـخـزـنـ . وـالـآـسـىـ كـذـلـكـ . عـزـ الشـىـءـ : نـدرـ وـصـعـ الحصولـ عـلـيـهـ . الـآـسـىـ الطـبـبـ .

(٤) أضـناـهـ : أـسـقـمـهـ وـأـهـلـهـ . أـسـاهـ : حـزـنهـ . ذـاـوـيـ : ذـاـبـلـ . الـآـسـىـ : نوعـ منـ الزـهـرـ .

(٥) الشـذاـ : قـوـةـ طـيـبـ الرـائـحةـ . فـرـوقـ بـفتحـ الـفـاءـ : مـنـ أـسـماءـ الـقـسـطـنـطـيـنـيـةـ ؛ وـأـرـيجـةـ : طـيـبـ الـرـبيعـ .

(٦) الشـمـالـ : يـرـيدـ بـهـ رـيـحـ الشـمـالـ . وـالـشـمـولـ بـفتحـ الشـينـ : مـنـ أـسـماءـ الـخـمرـ .

(٧) الغـراءـ : الـحـسـنـاءـ . وـالـأـغـرـ : السـيـدـ الشـرـيفـ . وـالـمـواـسـىـ : الـمـسـاعـدـ الـمـاـوـنـ .

(٨) صـبـهاـ : عـاشـقـهـاـ . وـالـتـعـذـرـ : التـمـنـ . وـالـشـمـاسـ بـكسرـ الشـينـ : التـفـورـ وـالـإـباءـ .

(٩) يـفـتـرـ : يـنـكـشـفـ . وـالـمـبـسـمـ : الـفـمـ . وـالـنـعـاسـ : الشـدـيدـ الـفـتـورـ .

تَذَنُّو فَيُطْمِعُ هَاشِقِهَا أَنْسُهَا
وَيُشِيرُ عِزْ دَلَالِهَا بِيَيَاسٍ^(١)
أَوْ رَوْضَةٌ فِي حَاءِ حَيَاهَا الْحَيَا
مِنْ صَوْبِ مَحْلُولِ الْعَرَى رَجَاسٍ^(٢)

وقال يتغزل :

كَتَبْتُ وَلَوْلَا دَمْعُ عَيْنِي سَائِلٌ
وَعِنْدِي مِنَ الْأَشْوَاقِ مَا لَمْ يَبْخُ بِهِ
وَلِي مِنْ تَبَارِيعِ الْهَوَى وَشُجُونِهِ
وَلَوْ كُنْتُ مِنْ دَهْرِي أَنَاكُلُّ مَارَبِي

وكتب إلى السيد عبد الهادي الأبياري يعتذر عن عدم إجابة دعوة

لم تصل إليه :

يَا مَنْ	بَدِيعُ حَلَاهُ
تَرْزِي الْبَدِيعَ وَتُنْسِي ^(٣)	وَافَتْ عَقِيلَةَ نَظِمْ
تَتَلُو فَصَاحَةَ قُسٌ ^(٤)	كَلْبَدْرُ لَاحَ سَنَاهُ
مِنْ بَعْدِ مَغْرِبِ شَمْسِ	فَعَادَرَتِنِي صَرِيعًا
نَشْوَانَ مِنْ غَيْرِ كَائِنِ	

(١) الإياس : اليأس . أى ييأس من أن تواصلهم .

(٢) الحيا : المطر . ويريد بمحول العرى : المطر الغزير الذى لا يحببه شيء . والرجاس : الشديد الصوت .

(٣) قاظى : التهاب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التي ضمنها خطابه .

(٤) اليراع : يزيد القلم . والقرطاس : الصحيفة التي يكتب فيها .

(٥) تباريع الهوى : حرفة . والشجعون جمع شجعن بفتح الشين والجيم : وهو ألم والحزن . والشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٦) البديع في الشطر الثاني هو بديع الزمان الممدانى صاحب المقامات المشهورة والأسلوب المسجع ، من كتاب الفرن الرابع المجرى .

(٧) قس بن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى .

فَمَنْ بِالْعَفْوِ لَنْ مِنْهُ عَلَى غَيْرِ يَأْسٍ
وَإِنْ عَتَّبْتَ حَقَّ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي

٩ - الشيخ على الليث^(١)

قال يرثي محمود باشا الفلكي وقد صادف أن تهاوت نيازك ليلة وفاته :

مَذْعُورَةً أَصْبَحَتْ تَصْبُو إِلَى الدَّرَكِ^(٢)
خَاهَ كَتِ الْبَرْقَ وَانْقَضَتْ عَنِ الْجَهْبُوكِ^(٣)
قَالَتْ تَمَرَّوا فَمَا حَيٌّ يُمْتَرِكِ^(٤)
أَبْقَى فُؤَادَ صَبُورَ غَيْرِيْرِ مُرْتَبِكِ
كَفِ الْمَنُونِ بِهِ فَانْحَازَ فِي الشَّرَكِ^(٥)
أَوْ فَالْتَّصَبَرْ إِنْ تَبْغِي الْهُدَى فَلَكِ^(٦)
قَدْ مَاتَ مُحَمَّدُ بَاشا الْمَسْنَدُ الْفَلَكِي

١٧١ ١٨٥ ٣٠٤ ٩٨ ٤٤ ١٠٤

أَرَى النَّيَازِكَ عَنْ سَامِ مِنَ الْفَلَكِ
كَالْطَّيْرِ فَاجْهَاهَا الْبَازِي وَأَذْهَلَهَا
نَعَتْ إِلَيْنَا الرَّئِيسُ الْجَهْبَدِيُّ ، وَقَدْ
يَا نَفْسُ هَذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا
أَلِيَّسَ نَسْرُ سَمَاءَ الْعِلْمِ قَدْ عَالِقَتْ
الصَّبَرْ يَا نَفْسُ ، وَأَسْتَبِقِي مَنَا يَحْمَهُ
حَلَّ الْقَضَاءُ وَنَاعِي الْمَجْدَ أَرَّخَنَا

١٣٠٣

(١) هو الشاعر السكاكب الحاضر المنادر ، شاعر الخديو إسماعيل باشا فتوحه باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار في معية إسماعيل باشا ؛ ولما خلفه توفيق أبقي عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط ؛ وتوفي سنة ١٣١٣هـ .

(٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون : شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة ؛ والدرك : أسفل السفل ،

(٣) البازى : نوع من الصقور . ويريد بالجبوك السماء .

(٤) الجهد : الناقد العارف بتميز الجيد من الردى ؛ ومترك بتضليل النساء وفتح الراء : متراك

(٥) علق بـه : تعاقت . والمنون : الموت . والشرك : جحائل الصائد .

(٦) المناع : يريد بها جم مناحة ، وهي موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال في عقب الثورة العرائية (من قصيدة طويلة) :

فَالْزَّامِ الصَّبَرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمَعْوَلُ^(١)
مَا بِهِ مَظْهَرٌ الْقَضَاءِ تَنَزَّلَ
ظَنَّ بِالسُّعْدِ لِلْعُلُّ لَا يَتَوَصَّلُ^(٢)
فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيبِ مِنْهَا تَكَمَّلَ
وَاللَّبِيبُ الدَّكَّى مَنْ قَدْ تَأْمَلَ
فَاجَأَتْنَا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَلُ
وَذَوِي مَرْبَعِ الْحَظْوَظِ وَأَمْحَلُ^(٣)
فِي خَيَالِ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَّلَّ
دُونَ إِدْرَاكِهِ الْجَبَالُ تُزَلَّ
بِأَنَاسٍ مِنْ نَابِهِ أَوْ مُغَفَّلٌ^(٤)
وَسِواهُ يَسْعَى لِكِيمَا يُجَمَّلُ
كَانَتِ الْفَاتِيَةُ الْجَمِيلَةُ أَمْثَلَ

كُلُّ حَالٍ لِضِدِّهِ يَتَحَوَّلُ
يَا فُؤَادِي اسْتَرَخْ فَإِنَّ الشَّانُ إِلا
رَبُّ سَاعِ لِحَتْفِهِ وَهُوَ مِنْ
قَدْرِ غَالِبٍ وَسِرُّ الْخَفَائِيَا
غَايَةُ الْعَقْلِ حَسْرَةُ وَعَقَالٌ
كَيْفَ تَنْسَى وَحَادِثَاتُ الْلَّيَالِي
أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وَغَالَتْ نَفِيسًا
وَإِذَا الْمَرْءُ كَانَ بِالْوَهْمِ يَنْسِي
وَيَنْسِي قَوْمٌ سَعَوْنَا لِإِدْرَاكِ أَمْرٍ
مَا أَصَرُوا عَلَيْهِ إِلا أَضَرُوا
ذَاكَ يَسْعَى عَلَى التَّقِيَّةِ خَوْفًا
لَوْ أَصَابُوا الرَّشَادَ عِنْدَ ابْتِدَاءِ

(١) عليه المول : عليه المعتمد في الشدة .

(٢) الحتف : الملاك .

(٣) أَحْلُ : أجدب . ي يريد أن حادثات الثورة أضاعت الأرواح والنفائس من مال ومتاع » وأصبحت الحظوظ لا يرجى منها خير ولا أمل .

(٤) أَصَرُوا عَلَيْهِ : عزموا وثبتوا على عزمهم .

(٥) التَّقِيَّةُ : التَّقِيَّةُ : وهو الخفية والخداع .

وقال يصف السفينة وهو عائد من براين :

أَضْبَحَ الْوَقْتُ بِاسْمِهِ بِالشَّرْمُورِ كَابِنْسَامِ الرَّبِيعِ وَقْتَ الزُّهُورِ
 أَيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبَعَ لَطِيفًا كَمَنْدِيرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ الْمُهُورِ
 فَوْقَ ظَهَرَ السَّفِينَ نُخْسِنُ وَصَفَا حَيْثُ يَجْرِي عَلَى صَفَاءِ الْبُحُورِ
 وَتَرَاهُ يَخْتَالُ وَهُوَ مَغْنَى وَيَحْكُمُ كَمَ يَحْرُرُ ذَيلَ الْفَخُورِ^(١)
 ذَيْلُهُ يَرْسُمُ الْمَجَرَّةَ تُجْبِا بَيْنَ مَوْجَيْ لُضْيَهِ مِثْلَ الْبُدُورِ^(٢)

١٠ - السيد عبد الله نديم^(٣)

قال يتغزل :

سَلَوْهُ عَنِ الْأَرْوَاحِ فَهِيَ مَلَائِيَّهُ
 وَعَوْدُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقُمُ شَعْرِهِ
 وَلَا تَذَكَّرُوا الْأَشْبَاحَ ؛ بِاللَّهِ ؛ عِنْدَهُ
 أَرَاهُ بِعَيْنِي وَالدُّمُوعُ تَكَاثِيَّهُ
 وَكُفُوا إِذَا سَلَّ الْمُهَنْدَ حَاجِبَهُ
 وَوَلُوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْكُمْ عَقَارِبُهُ^(٤)
 فَلَوْ أَتَلَفَ الْأَرْوَاحَ مَنْ ذَا يُطَالِبُهُ
 وَيُحْجَبُ عَنِي وَالْفُوَادُ يُرَايِبُهُ

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : التعب المكدود . ووبيه : رحمة له .
 والغدور بفتح الفاء : الكثير التفاخر .

(٢) الحجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، بل يراها كبقعة بيضاء .

(٣) بعد السيد عبد الله نديم في مقدمة الخطباء العرب ، وكان لا يجارى في سرعة البدية وشدة التأثير في سامعيه بالعامية وغيرها ، وبعد متأثراً بجهال الدين الأفغاني كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك شعر ونثر جيدان . توفى بالقدسية سنة ١٨٩٦ م .

(٤) الأرقام : أختبأ الحياة ، واحدتها أرقام ، والعقارب هنا شعر الأصداغ ، شبه بها لانعطافه ، كاذنابها على العين .

فَهَلْ حَاجَةُ تُدْنِي الْحَبِيبَ لِصَبَّهِ سِوَى زَفَرَةٍ تَثْنِي الْخَشَأَ وَتُجَادِبُهُ؟
فَلَا أَنَا مِمَّنْ يَتَقَبِّلُ حَبِيبَهُ وَلَا أَنَا مِمَّنْ بِالصَّدْرِ دُودٌ يُعَايِبُهُ
فَلَوْ أَنَّ طَرِيفَ أَرْسَلَ الدَّمْعَ مَرَّةً سَهِيرًا لِقَلْبِي مَا تَوَالَتْ كَتَائِبُهُ^(١)

١١ - الشيخ نجيب الحداد^(٢)

وقال الشيخ نجيب الحداد يدح مصر والمصريين :

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ وَسَقَاكِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ رُوكَامٌ^(٣)
بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ الَّذِي يَهْبِي ، فَإِنَّ النَّيلَ فِي كِ غَمَامٌ^(٤)
نَهْرٌ تَبَارَكَ مَأْوَهُ ، فَتَكَادُ أَنْ تَمْحَى بِطُهْرٍ مِيَاهِهِ الْآثَامُ^(٥)
وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلَيْلُ زُلَالَهُ يَشْفَى الْعَلَيْلُ وَتَذَهَّبُ الْأَسْقَامُ^(٦)
يُحْيِي الْبِلَادَ بِمَاهِهِ ، فَكَانَهُ الْرُّوحُ الَّتِي تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَامُ^(٧)

(١) السكتائب : جمع كتبية بفتح السكاف ، وهي القطعة من الجيش .

(٢)نشأ الشيخ نجيب الحداد نشأة أدبية ، فصار شاعراً رفيفاً وكاتبًا بليغاً له روايات شتى تألفها

وترجمة . توفي سنة ١٨٩٩ م

(٣) وسقاك : الخبر هنا للدعاء ، فهو يتمنى لأرض مصر الرى والسداد من الغمام . صوب الغمام :

نزوله ، والقام : السحاب . والركام (بضم الراء) : المراكب بعضه فوق بعض .

(٤) الغانية : الفنية بمحنتها وجحدها عن الزينة ، أو ذات المال الذى تستغني به عن الغير . والمراد هنا أنها غنت بوفر ما عليها الذى يتدفق من النيل عن المطر . ويهبى : يسقط غزيراً .

(٥) تبارك مأوه : خصه الله بالبركة والخير . تمحى : تزال . الآفام : الذنوب .

(٦) رشف : امتص الماء بشفتيه قليلاً قليلاً . والعليل : المريض . والماء الولال (بضم الراي) : العذب الصافي .

(٧) يحيى البلاد : يبعث الحياة في أهلها وزرعها وطيرها وسامتها بفضل ما عليها الذى لا ينقطع .

والروح : سر الحياة في الجسم . يريد أن النيل روح مصر وسر حياتها ، ولو لاه لأصبحت صحراء يابسة .

إِنْ شَابَهُ كَدَرٌ فِي أَكْدَارِهِ
 أَرْضٌ إِذَا لَمْ يَعْلُمْ فِي أَرْجَائِهَا
 لَبِسَتْ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدَ مَطَارِفًا
 وَتَمَاقَتْ وَالْفَخْرَ مِنْ قَدِيمٍ كَمَا
 تَجَدُّ بِهِ هَرَمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ
 هَرَمَان زَانَا صَدْرَ مَصْرَ فَأَشْبَهَا
 نَهْدَانَ كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا
 أَرْضُ الْفَرَاعِنَةِ الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا
 بُنْيَانٌ عَزٌّ فِي السُّطُورِ مُخَالَهُ

صَفُوٌّ وَفِي فَيَضَانِهِ لِلنَّعَامِ^(١)
 عَلَمَ فَإِنَّ كِرَامَهَا أَعْلَامُ^(٢)
 وَلَهَا مِنَ الْمَجْدِ الطَّرِيفِ وَسَامُ^(٣)
 قَدْ عَاقَتْ أَلْفَ الْكِتابَةَ لَامُ^(٤)
 غَضَا وَقَدْ شَهَدَتْ بِهِ الْأَهْرَامُ^(٥)
 نَهْدَينِ زَانَهُمَا سَنَى وَتَمَامُ^(٦)
 إِنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مَصْرَ غُلَامُ^(٧)
 فِي الدَّهْرِ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ
 وَبِنَاءَ تَجَدِّدٍ فِي الصُّخُورِ يُقَامُ

(١) شابه : خالطه . ويريد بأكداره ما يحمله من الغرين (الطمى) إبان الفيضان ، فإن فيه زيادة في خصب الأرض ونهايتها : وهذا ما عبر عنه بالصفو ليقابل به الأكدار . لنعم : أى وفي فيضانه نعمة وخير للوطن .

(٢) العلم بفتحتين : الجبل الطويل . والأعلام : جم علم يفتحتين وهو سيد القوم . يريد أن مصر إذا خلت أرضها من الجبال الضخمة العظيمة فإن فيها السادة العظام من رجالها .

(٣) التليد : القديم . المطارف : جم مطراف بكسر الميم وفتح الراء ، وهو الثوب من الحرير . والطريف : الجديد . والوسام شارة الفخر . وقد صرف (مطارف) لضرورة الشعر .

(٤) يريد أن الفخر لازمها من قديم الزمان لما فاض به تاريختها من حضارة سبقت بها الأمم .

(٥) هرم : شاب وكبرت سنها . غضاً : ناضراً . والمراد أن مجد مصر مر على الأزمان الطويلة فأهزمها وهو ما زال في عنفوان شبابه ونضرته .

(٦) النهد (بفتح التون) : الشدى وجده نهود . والسنفي (بفتح السين والنون) : الضوء . والتمام (بتثليث التاء) : الكمال .

(٧) يقول إن هرم مصر كانت في المصور القابر بعثابة نهدين يرضع منها الزمن . يكفي بذلك مما كانت عليه مصر من حضارة وعظمة في الوقت الذي كان فيه العالم كالطفل بجهاته وتأخره .

لَا بِدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَا آتُوهُمْ فَقَدْ بَقِيَتْ جُسُومُهُمْ وَهُنَّ رِمَامٌ^(١)

١٢ - مصطفى بك نجيب^(٢)

قال يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَعَنَا أَخْ كَرِيمٌ حَسَبَا
وَحَاتِئٌ مُخْتِدَأً وَنَسِبَا^(٣)
مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنُهُ لَهَا مُضْطَرِبَا^(٤)
بِسَاعَةٍ مِنْ خَيْرٍ مَا قَدْ جَلَبَا^(٥)
لَا تُخْطِئُ الْوَقْتَ وَلَوْ تَذَبَّذَبَا^(٦)
عَشَى مَعَ الزَّمَانِ سَيِّرًا عَجَبَا^(٧)
كَانَ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسِبَا
حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَا^(٨)
وَرَأَمَتِ الشَّمْسُ لَهَا مُنْقَلِبَا^(٩)
رَأَيْتَ فِيهَا الْعَقْرَ بَيْنِ عَقْرَبَا

(١) لا بدع : لا غرابة ولا عجب . رمام : جمع رمة بكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وهي الجسم البالى . يقول لا غرابة في بقاء آثارهم من أهرامات ومعابد ، فهذه جسومهم وهي رهن البلى ، ما زالت باقية لم تندثر بفضل نبوغهم وتقديمهم في فن التخييط .

(٢) هو ابن محمد نجيب ، أديب إداري ، وكاتب شاعر مقل ، صاحب كتاب (حياة الإسلام) ؟ ومقالات (أحلام الأحلام) ؟ توفي سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) حاتى : نسبة إلى (حاتم الطائى) الذى ضرب به المثل في الكرم ، وهو من أجود العرب . والمحتد : الأصل .

(٤) مضطربا : تقدماً أو تأخراً عن السير الطبيعي للزمن .

(٥) تذبذب : اضطراب وخرج عن حركة الطبيعية في السير .

(٦) ذكاء (بضم الذال) : الشمس ، ولhma (بضم اللام) : قرابة .

(٧) وقت الزوال : هو الوقت الذى يزول فيه الظل حين تصل الشمس إلى كبد السماء ، أى في الساعة الثانية عشر عاماً .

وكتب على يد مروحة :

إذا يَدْ لَعِبَتْ بِي قَابْلُهَا بِهَا وَاهَا
 مَرَجَتْ لَطْفَ نَسِيمِي بِلَطْفِ رَيَا مُنَاهَا^(١)
 فَزَادَهَا الرِّيحُ وَجْدًا وَزَادَهَا الْوَجْدُ آهَا^(٢)
 جَاءَتْ لِتَبَرُّدَ شَوْقَا فَزِدَتْ مِنْهَا جَوَاهَا^(٣)

١٣ - محمود باشا سامي البارودي^(٤)

قال في الفخر وهو من قصيدة طويلة :

سِوَايَ بِتَحْنَانِ الْأَغَارِيدِ يَطْرَبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَّاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ^(٥)
 وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لَبَّهُ وَيَمْلُكُ سَمْعَيْهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ^(٦)
 وَلَكِنْ أَخُو هَمَ إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةُ نَحْوِ الْعُلَا رَاحَ يَدْأَبُ^(٧)

(١) الريا : (فتح الراية وتشديد الياء) الريح الطيبة ، كأنها رويت من الطيب والمطور في مسراها مؤنث ريان . والمنى : جمع منية بضم الميم وتسكين النون ، وهي ما تتنفسه النفس من خير .

(٢) وجداً : صباة وشوقاً . وآها : تأوها من فرط الحنين .

(٣) اتبرد لتلتسمس برداً من شدة حرارتها . والجوى شدة الوجد .

(٤) هو محمود سامي باشا بن حسن حسفي بك البارودي . أحد زعماء الثورة العرابية ؟ ولد سنة ١٢٥٦ هـ . وتعلم بالمدرسة الحربية ، وترق في مناصب الجيش وغيرها حتى رئيس النظار قبيل الثورة العرابية ، ونفي بعدها إلى سردينج ، ثم عاد إلى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودي عصامي في نشأته الأدبية الشاعرة ، يعد شعره صورة مقاربة للفحول السابعين : جزل الأسلوب ضخم المعانى ، متنوع الفنون له ديوان ومحاترات .

(٥) التحنان بفتح التاء : الحنين . والأغاريد : جمع أغرودة بضم المهمزة ، غناه الطائر . ويعجب بالشيء بابناء للمجهول : يسر منه .

(٦) يزيد بسمعه أذيه . واليراع : القصب الذي يزرع به الراعي ، واحدته يراعة . والثقب :

ذو الثقب التي تعين النافخ على الصفير ، وتنوع الألحان .

(٧) الهم — هنا : الهمة . وترجحت به : مالت به ، ويريد بالسورة التزعة القوية .

نَفِي النَّوْمَ عَنْ عَيْنِيهِ نَفْسُ أَيْةٍ
لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسْنَةِ مَطْلَبٌ^(١)
وَمَنْ تَكُنُ الْعَلِيَاءُ هَمَّهَا نَفْسُهُ
فَكُلُّ الدِّى يَلْقَاهُ فِيهَا تُحِبُّ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا
فَلَا عَزَّزَ خَالٌ وَلَا ضَمَّنِي أَبٌ

* * *

عَلَى يَدَا أَغْضِى لَهَا حِينَ يَغْضَبُ^(٢)
وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضِي أَتَعَبُ^(٣)
لِكُلِّ امْرِى فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبٌ^(٤)
وَأَمْسَتْ بِهِ الْأَحَلَامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ^(٥)
مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفِي عَلَيْهِ الْمُغَيَّبُ^(٦)

خَلَقْتُ عِيُوفًا لَا أَرَى لَابْنِ حُرَّةِ
فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقّعًا
أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ
وَإِنِّي إِذَا مَا الشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلَهُ
صَدَعْتُ حَفَافَنِ طُرَّيَّهُ بِكَوْكَبٍ

وقال يتשוק وهو في المنفى :

رُدُوا عَلَى الصَّبَّا مِنْ عَصْرِيَ الْخَالِي^(٧)
لَمْ يَدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ^(٨)

وَهُلْ يَعُودُ سَوَادُ الْلَّمَةِ الْبَالِي^(٧)
أَنِّي بِنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي^(٨)

(١) الأسنة : جم سنان ، وهو نصل الرمح .

(٢) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة . أغضى لها : أطبق جفونه ذلاً وندماً .

(٣) أتعب : أغضب .

(٤) المذهب : الطريقة .

(٥) الأحلام : العقول . وتشعب أي تختلف وتترافق .

(٦) حفاف الشيء : جنباه . الطرة : الناصية ، يقول إنه إذا أشكل الأمر وتحيرت فيه العقول أناره رأى كالكوكب فيوضوجه وإشرافه .

(٧) اللمة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، هو يريد شعر الرأس على الإطلاق ، ويريد بالبالي الذي تغير لونه فيبيضه المشيب .

(٨) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم ، وصلى بها فهو صالح : قاسي حرها أو احترق بها .

يَا غَاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى عِدَةٍ
 بِالْوَصْلِ يَوْمَ أُنَاغِي فِيهِ إِقْبَالٍ^(١)
 غَيْتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْنِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ^(٢)
 وَسَاءَ صُنْعُ الْلَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ^(٣)
 قَلْبِي إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بَعْدَ مَيَالِ^(٤)
 مِثْلَ الْقَطَامِيِّ فَوْقَ الْمَرْءِ إِلَى الْعَالِيِّ^(٥)

وقال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسُ الْيَوْمَ يَحْمِي سَرَحةَ الْوَادِي
 مَاتَ الَّذِي تَرَهَبُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ
 مَضَى وَخَلَفَنِي فِي سِنٍ سَابِعَةٍ
 فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ آصِرَتِي^(٦)
 طَاحَ الرَّدَى بِشَهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي^(٧)
 وَيَتَقَى بِأَسْسِ الْفَرْسِ غَامِمُ الْمَادِي^(٨)
 لَا يَرْهَبُ الْخُصْمُ لِإِرْأَاقِ وَلِإِرْعَادِي^(٩)
 فَهَمَّا نَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ آنَدَادِي^(١٠)

(١) العدة بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وناغى الصي : كلمه بما يعجبه ويسره .

(٢) الإجال : الإحسان .

(٣) الرسن بفتح التاء : الجبل الذي تقاصد به الدابة .

(٤) يزيد بالشاهقة الجبل المرتفع . والقطامي بفتح القاف وضمها : الصقر . والربأ : المكان الذي يقف فيه من يرقب .

(٥) السرحة بفتح السين : الشجرة العظيمة يستظل فيها . والراد : يحمي حرمه . وطاح به : أهلكم والردى بفتح الدال : الموت . والشهاب : السكورب ، يزيد أنه كان كالكورب في انتقامته على محاربيه ، كما كان في مجتمع القوم زيلتهم كالكورب أيضاً في تألفه .

(٦) الأقران : جمع قرن بكسر القاف ، وهو المناظر في الشجاعة وغيرها . صولاته : سلطنته وبطشه في النصال . والضرغامة : الأسد . والعادى : الصائل .

(٧) إبراق وإرعادي : تهديدى ووعيدى .

(٨) يزيد بأصرته : أهل قرابته وموته .

ومن قصيدة له يرثى بها زوجته ، وقد ماتت في مصر وهو لا يزال
في منفاه :

١) تقوى على رد الحبيب الغادي
كانت خلاصة عدتي وعهادى
٢) أفالا رحمة من الآسى أولادى
رغى التجلد ، وهو غير جماد
٣) أسفما بعذك ، أو يلين مهادى
والدموع فيك ملازم لوسادى
٤) وإذا أويت فانت آخر زادى

لأوعى تدع الفواد ، ولا يدى
يا ذهر ! فيم جمعتني بمحى
إن كنت لم ترحم صنای لبعدها
ومن البلية أن يسام أخو الآسى
هيئات بعذك أن تقر جوانحي
ولهى عليك مصاحب لمسيرتي
 فإذا انتبهت فأنت أول ذكرى

وقال يصف الحرب :

٥) ودارت كاتهوى على قطبيها الحرب
وماجت صدور الخيل والتهب الضرب

ولما تداعى القوم واشتبك القنا
وزين للناس الفرار من الردى

(١) الوعة : ألم الفراق ، والغادي : الذاهب ، من غدا يغدو إذا ذهب في الصباح ، والمراد هنا من الغادي : الذاهب عن الدنيا .

(٢) العدة ، والعتاد : ما يبعد المرء لشأنه ، يريد أنها كانت سندة في الحياة وعونه .

(٣) الصنا : الضف والسم ، والأسى : الحزن .

(٤) سامه الأمر : كلفه إياه ، والرعى : المراعة .

(٥) تقر : تهدأ ، والجوانع : الأضلاع ، مفردتها : جانحة ، والمهاد : الفراش .

(٦) الوله : أشد الحزن ، والمسيرة : السير ، والمراد بها هنا العمر والحياة ، أى أن حزنه سيصاحب أيام حياته ، والوساد : الخدبة والمسكاك .

(٧) انتبهت : استيقظت ، والذكر : الذكر ، وأويت : دخلت فراشى ، والزاد : ما يتزود به .

(٨) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً للقتال ، والقنا : بع قناة ، وهي الرمح ، وشبه الحرب بالرحى في دورانها على قطبها .

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءَ كَمَا نَزَّا
سُقِينَا بِكَأسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرَبٌ^(١)
صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاوَاهَا
وَلَيْسَ صَبُورًا إِنَّ أَلَمَ بِالْخَطْبِ^(٢)

وقال يصف الفراق :

مَا بَيْنَ مَا أَبْقَتْ عَيْوَنُ الْمَهَا مِنِ
عَنَائِهِ وَيَأْسُ وَاشْتِيَاقُ وَغُرْبَةُ
فَإِنْ أَكُ فَارَقْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا
بَعْثَتْ بِهِ يَوْمَ النَّوْىِ إِذْ لَحْظَةُ
فَهَلْ مِنْ فَتَّى فِي الدَّهْرِ يَجْمِعُ بَيْنَنَا
وَلَمَّا وَقَفَنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلَتْ
أَهَابْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَعَزَّزَنِي

وَشَبَّتْ وَلَمْ أَقْضِ الْلَّبَانَةَ مِنْ سِنِ^(٣)
أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبَنِ^(٤)
فُوَادُ أَضَلَّتْهُ عَيْوَنُ الْمَهَا عَنِ^(٥)
فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدَارُ فِي شَرَكِ الْحَسْنِ^(٦)
فَلَيْسَ كَلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِعَسْتَغْنِ
مَدَامِنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمُرْزِنِ^(٧)
وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يَعْنِ^(٨)

(١) الشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٢) تجلت سماؤها : يريد ذهبت شدتها ، وصبور : كثير الصبر ، وألم بشديد الميم : نزل ، والخطب : الشدة والأمر العظيم .

(٣) البين : البعد والفرقة ، والمها : جم مهاة ، وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل في حال العيون ، واللبانة : الحاجة في غير فاقه ، والسن : العمر ، ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومرح .

(٤) العناء : التعب والمشقة ، وألا شد : ما أشد ، والفين : يريد به الظلم .

(٥) أضلته : يريد شغلته .

(٦) النوى : البعد ، وإثر لحظة : عقب لحظة ، واللحظة : النظرة بمؤخر العين ، والمقدار : قدر الله ، والشرك : حبالة الصيد .

(٧) أسللت الدموع : أرسلت وهلت ، والترايب : جمع تربة ، وهى عظمة الصدر ، والمراد بها هنا الصدر ، والمرزن : المطر .

(٨) أهاب به : دعاه ، وعزنى : غلبني ، والملم : العقل ، وبثوب : يرجع ، ويفنى : يفید .

بِنَاعِنْ شُطُوطِ الْحَمْيَاجِنِجَةُ السُّفَنُ^(١)
 وَكَمْ مُهْجَةٌ مِنْ غَزْرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنَ^(٢)
 فَلِمَادَهْتَنِي كَدْتُ أَقْضِي مِنْ الْحَزْنَ^(٣)
 إِلَى الْحَزْمِ رَأَيْ لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنَ^(٤)
 لَمَّا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى فَائِتِ سِنِي^(٥)

وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ ، ثُمَّ أَفْلَمْتَ
 فَسَكَمْ مُهْجَةٌ مِنْ زَفْرَةِ الْوَجْدَنِ لَظَى
 وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ
 وَلَكِنِّي رَاجَمْتُ حَلْمِي وَرَدَنِي
 وَلَوْلَا بُنْيَاتُ وَشِيبُ عَوَاطِلُ^(٦)

١٤ - حُفْنِي بْلَكْ نَاصِفُ^(٧)

قال يخاطب ناظر الحقانية وقد نقله إلى « قنا » :

رَقِيقَتِنِي حِسَّا وَمَعْنَى فَلِصُنْعَكَ الشُّكْرُ الْمُهَنَّى
 وَجَعَلْتَ رَأْسَ الْحَاسِدِ يَنْ بِعْصَرَ مِنْ قَدَمَيْ أَذَّى
 وَجَعَلْتَ سُدَّةَ مَنْزِلِي مِنْ أَسْقُفِ الْهَرَمَيْنِ أَسْنَى^(٨)

(١) أَفْلَمْ عنِ الْمَسْكَانِ : تَحُولُ عَنْهُ ، وَشُطُوطٌ : جَمْ شَطْ ، وَهُوَ جَانِبُ الْبَحْرِ ، وَالْحَمْيَ : مَنَازِلُ الْقَوْمِ ، وَأَجْنِجَةُ السُّفَنِ : أَشْرَعُهَا .

(٢) الْمَهْجَةُ : دَمُ الْقَلْبِ ، وَيَرَادُ بِهَا هَذِهِ الْفَلَبِ ، الزَّفْرَةُ : النَّفْسُ الشَّدِيدُ الْحَارُ ، وَالظَّى : لَهْبُ النَّارِ وَالْمَنَّةُ : الْعَيْنُ ، وَغَزْرَةُ الدَّمْعِ : كَثْرَتِهِ ، وَالْدَّجْنُ : الظَّلْمَةُ .

(٣) دَهْتَنِي : أَصَابَتِي ، وَأَقْضِي : أَمُوتُ ، مِنْ قَضَى الرَّجُلِ يَقْضِي .

(٤) رَاجَمْتُ : اسْتَرَدَدْتُ ، وَالْحَلْمُ : الْعُقْلُ ، وَحَامَ عَلَى الْفَىِ : دَارَ بِهِ ، وَالْأَفْنُ : سُوءُ الرَّأْيِ .

(٥) الْبُنْيَاتُ : جَمْ بُنْيَةٍ ، وَهِيَ الْبَنْتُ الصَّغِيرَةُ ، وَالْفَائِتُ : مَا لَمْ يَدْرِكْهُ الْإِنْسَانُ ، وَقَرْعُ السَّنِ ، كُنْيَايَةُ عَنِ الدَّمِ ، يَقُولُ : لَوْلَا بَنَاتُهُ الصَّفَارُ ، وَلَوْلَا مَنْ يَهْوِلُهُمْ مِنْ أَهْلِهِ الْمَسِينِ الَّذِينَ لَا كَسْبَ لَهُمْ مَا يَدْمِلُ عَلَى شَيْءٍ .

(٦) هُوَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ وَالشَّاعِرُ الْكَاتِبُ الْأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ حُفْنِي نَاصِفُ ، وَلَدُ بَرَكَةِ الْحَجَّ مِنْ أَعْمَالِ الْقَلِيلِيَّةِ ، وَدَرَسَ بِالْأَزْهَرِ وَدارِ الْعِلُومِ ، خَفْرَجَ نَابِيَّا ، شَفَلَ مَنَاصِبَ الْقَضَاءِ وَالْتَّدْرِيسِ بِالْمَدَارِسِ وَالْجَامِعَةِ ، فَكَانَ مَثَالَ الْفَضْلِ وَالْبِرَاعَةِ وَحَسْنِ الْفَكَاهَةِ وَسِرْعَةِ الْبَدِيهَةِ ، يَنْتَازُ أَسَابِبَهِ بِالْجَزَالَةِ فِي النُّثرِ وَالسُّهْوَلَةِ فِي الشِّعْرِ ، تَوْفَى سَنَةُ ١٩١٩ مَ .

(٧) سُدَّةُ الْمَنْزِلِ (بِتَشْدِيدِ الدَّالِ) : عَتْبَةُ بَابِهِ .

أَسْكَنْتِي فِي بُقْمَةِ فِيهَا غَدَوْتُ أَعَزَّ شَأْنًا
 أَرِدُ الْمَشَارِعَ سَابِقًا وَالسَّبِقُ عِنْدَ الْوَرْدِ أَهْنَا^(١)
 وَأَزُورُ آثَارَ الْمُلُوْكَ، وَكُنْتُ قَبْلَهَا مُعْنِي^(٢)
 بِـاللهِ إِذَا حَلَّتْ بِهِ قَدَمَكَ قُلْتَ حَلَّتْ حِصْنَا
 جَبَلُ الْمُقَطَّمِ حَوْلَهُ مُتَعَطِّفٌ كَالثُّونِ حُسْنَا^(٣)
 هَيْهَاتَ أَنْ يَصِيلَ الْعُدُوُّ (م) لَهُ ، وَيُدْرِكَ مَا تَعَنَّى

* * *

قالوا : شَخَصْتَ إِلَى قِنَا
 قالوا : سَكَنْتَ السَّفَحَ قُدْمًا
 قالوا : «قِنَا» حَرًّا ، فَقَدْ
 سِرَّ الْحِيَاةِ حِرَارَةُ
 كَلَّا ! وَلَا زَهْرَةَ تَبَسَّدَ
 تَدَفَّقَ الْأَنْهَارُ مِنْ
 هَا قَدْ أَمِنْتُ الْبَرَدَ وَالْ

يَامِرَ حَبَّا «بَقَنَا» وَ«إِسْنَا»
 تُ وَحْبَدَا بِالسَّفَحِ سُكْنَى
 تُ : وَهُلْ يَرِدُ الْحُرُّ قِنَا؟^(٤)
 لَوْلَاهُ مَا طَيْرَ تَفَنَّى
 سَمَ ، لَا وَلَا غُصْنَ تَتَنَّى !
 حَرًّا ، وَتَرْجِي الرَّيْحِ مُزْنَا^(٥)
 بُرْدَاءَ ، وَالْقَلْبُ اطْمَانَا^(٦)

(١) أَرِدُ الْمَشَارِعَ : آتِيهَا لِلارتِواه ، وَالْمَشَارِعُ : جَمْ مُشَرِّعٍ وَهُوَ التَّهَلِ يَرِدُهُ الظَّاهَاءَ .

(٢) مُعْنِي : كَلْفَا (بِكْسَرِ الْأَلَمِ) مُشْتَافَا .

(٣) مُتَعَطِّفُ : مُنْعَنْ كَالْقَوْسِ .

(٤) الْقَنُ : الْعَبْدُ الرَّقِيقُ ، وَفَاعِلُ يَرِدُ يَعُودُ عَلَى (حَر) بِفتحِ الْحَاءِ ، يَقُولُ وَهُلْ يَصِيلُ حَرْ قِنَا
 الرَّجُلُ الْحَرُ عَبْدًا رَقِيقًا .

(٥) الْمُزْنَ : الْمَطَرُ ، وَاحِدَتُهُ مَزْنَةٌ بِضمِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الزَّايِ .

(٦) الْبُرْدَاءُ : التَّقْلَاءُ ، جَمْ بَارِدٌ وَهُوَ الإِنْسَانُ الْمُتَبَلِّدُ لِلْإِحْسَاسِ .

وَوُقِيتْ أَمْرَاضَ الرَّطْوَ
بَةٍ ، وَاسْتَرَقَ الْرِّيحُ وَهُنَا^(١)
بِلِقَاءِهِ : ظَهِيرًا وَبَطْنًا
شَيْئًا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّا
لَا أَشْتَرِي صُوفًا وَقُطْنًا
دِ النَّصْفَ أَوْ نِصْفًا وَعِنَا
فَكَانَهَا أُمِّي وَأَخْنَى
فِي الْفُسْلِ أَلْقَى الْمَاءَ سُخْنَا
جَ اِلْخِبْرِ أَلْقَى الْجَوْ فُرْنَا
هَ مُوكَلاً بِالْمَالِ مُضْنَى
سِرْفُ مَالَهُ وَمَتَى وَأَنَى ؟
بَعْدَ الظَّهِيرَةِ مُسْتَكِنَا^(٢)
سَرَ حَالَةٌ ، وَأَخْفَى غَبْنَا
لَبَنَا ، وَيُلْفِي السَّمْنَ سَمْنَا
تَسْكُنْ مَعَ الْأَذْنَابِ مُذْنَا
وَالْجِسْرَ وَالظَّبَى الْأَغْنَا^(٣)
نِي ، وَاسْأَلَ الرَّحْمَنَ عَدْنَا !
أَلْقَى الْمَاءَ فَلَا أَهَا
وَأَنَامْ غَيْرَ مُدَثَّرٍ
قَدْ خَفَتِ النَّفَقَاتُ إِذْ
وَفَرَّتْ مِنْ مَعْنَى الْوَقْوَ
فَالشَّمْسُ تَكْفُلُ رَاحَتِي ؛
فَإِذَا بَدَتْ لِي حَاجَةٌ
أَوْ رُمِتْ طَبَخَا أَوْ عَلَا
سُكْنَى الْقُرَى تَدَعُ السَّفِيَّ
أَى الْمَلَاهِي فِيهِ يَصَدِّ
كُلُّ أَمْرِي تَلِقَاهُ مِنْ
وَيَرَى الغَرِيبُ السَّعْرَ أَيْ
يَجِدُ الْحَلِيبَ بِعِينِهِ
عَشْ فِي الْقُرَى رَأْسَا ، وَلَا
وَدَعَ الْجَزِيرَةَ وَالْمَهَا
وَاسْلُ الْأَغَانِيَ وَالْفَوَا

(١) استرق الريح : سرى رقيقاً ناعماً ، الوهن بمكون الماء : الصحف .

(٢) مستكنا : مختبئاً .

(٣) الظبي الأغن : الذى فى صوته غنة بضم العين وتشديد النون المفتوحة .

(٤) اسل : فعل أمر من سلا بمعنى ترك ونسى ، التوانى : جم غانية وهي الحسناء التي غنيت بجهالها عن غيره . وعدن بسكون الدال : جنة عدن .

وَمَا أَشْرَفَ عَلَى الْإِحَالَةِ عَلَى الْمَعَاشِ بِلَوْغِ السِّتِينِ ، كَتَبَ إِلَى الْمَرْحُومِ
حَسَنِ رَشْدَى باشا ، وَكَانَ يُوْمَئِذَ رَئِيْسًا لِلْوُزَارَةِ ، يَسْأَلُهُ أَنْ يَعْدَ فِي أَجْلِ
خَدْمَتِهِ ، فِي مَفَاكِيْهِ غَايَةً فِي الظَّرْفِ وَالرَّقَّةِ :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يَا شَيْخَ الْوَزَارَةِ حَاجَتِي إِنْ شِئْتَ تُقْضِيَ بِإِشَارَةِ
نَالَهَا قَبْلِ الْأُوفِ لَمْ أَكُنْ دُونَهُمْ عِلْمًا وَلَا أَذْنَى إِدَارَةَ
لَمْ أَزَلْ جَمَّ الْقُوَى جَمَ الْجَدَارَةَ (١)
نَاهَزَ السِّتِينَ عُمْرِي إِنَّمَا
هَلْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَلْزَمَ دَارَةَ
وَإِذَا لَمْ يَشْكُ مِثْلِي عِلْمَهُ
طُولِ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَةَ
إِنَّ تَرْكِي خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ مَعْ
وَحِيَانِي كُلُّهَا قَضَيْتُهَا
تَكَارَةً فِي الْعَدْلِ وَالْتَّعْلِيمِ تَارَةً (٢)

وَقَالَ يَتَحَسَّرُ عَلَى ضِيَاعِ عَالَمِهِ بِهُوَتِهِ :

وَمَا نَلَتْهَا إِلَّا بِطُولِ عَنَاءِ (٣)
أَتَقْضِي مَعِي إِنْ حَانَ حَيْنِي تَجَارِبِي
وَأَبْذُلُ جَهْدِي فِي اِكْتِسَابِ مَعَارِفِ
وَيَحْزُنُنِي إِلَّا أَرَى لِي حِلَّةَ
لِإِعْطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُ عَطَائِي (٤)
إِذَا وَرَثَ الْجَهَالُ أَبْنَاءَهُ غَنِيَ
وَجَاهَهَا ، فَهَا أَشْقَى بَنِي الْعُلَمَاءِ (٥)

(١) ناهز : قارب . والجم بتشديد الميم : الكثير . والجدارة : الأهلية والاستحقاق .

(٢) وإن كانت نشأة الشاعر الأولى في الأزهر ، ثم في دار العلوم فقد ولد القضاء في الحكم الأهلية مدة ليست بالقصيرة .

(٣) تقضي : تموت وتتفن . وحان حيني : جاء أجل . والتجارب : ما يستفيده المرء من خبرة في ممارسته لشؤون الحياة ، مفردها تجربة . والعناء : الجهد والمشقة

(٤) حصلته : جمعه :

(٥) العطاء : ما يجود به المرء على غيره . ويريد أن ما حصله من العمل لا يستطيع أن يهبه لمن لا يستحقه كما يوهب المال مثلا

(٦) الجاه : علو المنزلة ، ورفعة القدر

١٥ - ولِيُ الدِّينِ يَكْنُ^(١)

وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

يُرِيدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا هَنَاءً وَيَابِي أَنْ يَحْوَدَ بِهِ الزَّمَانُ
حَيَاةً حَارَبُوهُ مُنْذُ كَانُوا وَحَظِّهِ حَارَبُوهُ مُنْذُ كَانُوا
وَآمَالُهُ تَغْرِيْهُمْ عِجَافٌ وَآخَدَاتُهُ تُكَذِّبُهُمْ سِمَانُ^(٢)
وَكُمْ مِنْ مُسْتَعِينٍ لَا يُعَانُ^(٣) وَكُمْ مِنْ مُسْتَقِيلٍ لَيْسَ يُعْطَى
تَوْفِيْهَا الشَّكَاةُ وَلَا إِسَانُ^(٤) تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ فَلَا يَرَاعُ
إِذَا دَانَ الْعِدَا وَجَبَ الْأَمَانُ أَمَانًا أَيَّهَا الْخُضْمُ الْمُعَادِي
لَقَدْ هَانَتْ رَغَائِبُهُمْ وَهَانُوا لَأَنْ رَغِبُوا إِلَيْكَ رَغْبَتْ عَنْهُمْ
أَلَا كَذَّبُوا عَلَى بَعْضٍ وَمَا نَوَا يَمْنَى النَّاسُ بَعْضَهُمْ بِخَيْرٍ
وَقَدْ وَهَنَ النَّهَىٰ وَهَى الْبُنَانُ وَدَاعٍ جَاءَ يَدْعُونِي لِنُصْحِحَ

(١) ولِيُ الدِّينِ بن حسن سعري بن ابراهيم باشا يكن ، ولد بالاستانة وجاء القاهرة طفلاً وتعلم بها ومال إلى الأدب واشتهر به ، ثم سافر إلى الاستانة وعين في مجلس معارفها ، ثم ذهب إلى السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيوارس ، وبعد إعلان الدستور العثماني عاد إلى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته ، وله شعر وقيق وكتابة جيدة ، مات سنة ١٣٣٩ هـ

(٢) عِجَافٌ : جمع عِجَفَاءٍ هزيلة ضامرة . . . سِمَانٌ : جمع سِمَيْنَةٍ

(٣) مُسْتَقِيلٍ : طالب نوالاً أى عطاء . . . مُسْتَعِينٍ : طالب عوناً .

(٤) الْيَرَاعُ : الأقلام ، المفرد يراعة .

(٥) مَانُوا : من المين بسكون الياء وهو الكذب .

(٦) وَهَنَ : ضعف . . . النَّهَىٰ : جمع نهية بضم التون وسكون الهاء . . . وهى : ضعف . . . البِيَانُ : الطرف الأصايج جمع بناءة .

تَعِبَتْ مِنَ الْكَلَامِ فَلَيْسَ بِمُجْدِي
 كَمَا أَمْلَأْتُ - نَظْمًّا أَوْ يَيْكَانُ
 فَهَنَا لَا أَدِينُ وَلَا أَدَانُ^(١)
 وَلَكِنْ صُنْتُ عَهْدًا لَا يُصَانُ
 وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي لَا أَخَانُ
 ظَلَّتْ أَمِينَةً دَهْرًا طَوِيلًا

* * *

وَدَارَ لَا يَزُولُ الْقَتْلُ عَنْهَا
 كَانَ الْحَرْبَ فِيهَا مِهْرَاجَانُ
 أَهَابَ بِهَا الْيَرَاعُ فَلَمْ تُجِبْهُ
 وَنَادَاهَا بَجَاؤَبَتِ السَّنَانُ^(٢)
 تَظَلَّلَ بِهَا السَّوَاعِدُ عَامِلَاتُ
 يُصَرِّفُهَا ضِرَابٌ أَوْ طَعَانُ
 بَكَتْ عَيْنِي الشَّبَابَ وَحِينَ جَفَّتْ
 مَدَامِعُهَا عَدَا يَيْكَى الْجَنَانُ^(٣)
 لَعْمَرَكِ مَا لِذِي نُصْحَّ مَكَانُ
 وَلَا لِلنُّصْحِ فِي الدُّنْيَا مَكَانُ^(٤)
 فَلِي شَانُ وَلِلَّامَالِ شَانُ^(٥)
 فَدَعْنِي إِنَّ آمَالِي اسْتَكَفَتْ

معارضته قصيدة الحصري

« يَا يَيْلُ الصَّبَبُ مَتَى غَدُهُ »

الْمُحْسِنُ مَكَانُكِ مَغْبِدُهُ
 وَاللَّاحِظُ فُؤَادِي مَفْمَدُهُ^(٦)
 يَا سَيِّدَتِي هَذَا حُرُّ
 لَمْ يُعْرَفْ قَبْلَكِ سَيِّدُهُ

(٢) السنان : نصل الرمح .

(٤) استكفت : انقطعت وانتهت .

(٥) مفمد : مكان غمده شبه اللحظ بالسيف ، والنؤاد بالغمد الذي يحتويه .

(١) صبوة : من صبا بمعنى مال وأحب .

(٣) الجنان بفتح الجيم : القلب .

(٦) مغبد : مكان غمده شبه اللحظ بالسيف ، والنؤاد بالغمد الذي يحتويه .

اللَّيْلُ وَطَيْفُكِ يَعْرَفُهُ إِنْ كَانَ فُوَادُكِ يَجْحَدُهُ
 كَمْ يُوحِي طَرْفُكِ لِغَزَّالٍ
 وَأَنَا فِي شِعْرِي أُنْشِدُهُ
 وَتُسَاجِلُنِي الْأَطْيَارُ هَوَى
 فِي الدَّوْحِ أَيْتُ أَرَدَدُهُ^(١)
 لِلَّيْلِ غَرَامِي أَسْوَدُهُ
 لِلصَّبِيجِ سَنَاؤُكَ أَبِيَضُهُ
 عِنْدِي عَذْبٌ وَمَقِيدُهُ^(٢)
 أَحَبَّيْتُ قَلَاكَ فِي طَلْقَهُ
 فَأَنَا بِوَلْوَعِي أُرْشِدُهُ
 قَدْ بَاتَ دَلَالُكَ يَخْذُلُهُ
 لِأَنْ صَلَّ حَنَانُكَ عَنْ قَلْبِي
 وَجَالَكِ كَانَ يُوَيْدُهُ
 زِيدِي تِيهَا أَزْدَادَ كَلَافًا
 كَلَفِي إِنْ رَثَ أَجَدَدُهُ^(٣)
 (شَوْقٌ) إِنْ بَنْتُ يُضَاعِفُهُ
 (صَبْرٌ) إِنْ جُرْتُ يُوَكِّدُهُ^(٤)
 طَرْفِي مَعَ طَرْفِكِ يَرْصُدُهُ^(٥)
 (مُضْنَاكِي جَفَاهُ مَرْقَدُهُ)
 الصَّبِيجُ يُعَاطِلُهُ غَدَدُهُ^(٦)
 وَعْدِيَهُ الْيَوْمَ وَلَوْ كَذِبَا

(١) تِساجله : تباريه ، والدوح : الشجر ، واحدته دوحة بسكون الواو .

(٢) قَلَاك : هجرك .

(٣) كَلَافًا : ولوعاً وشوقاً ، يقول : كلها زدت تبهماً ودللاً أزداد بك هياماً وحبها ، رث : تقادم وبل

(٤) شوق : من الشوق ، وهو المعنى الظاهر من السياق . والمراد الحقيق بالفظه المرحوم شوق بك

أمير الشعراء في المصر الحديث ، بنت : بعده ، صبرى : من الصبر ، وهو المعنى الظاهر ، والمراد بالفظه المرحوم (إسماعيل باشا صبرى) الشاعر المعروف . جرت : ظلت ، والجور هنا يراد به المجر وادعاء الغسيان .

(٥) يقول إن «شوق» و«صبرى» الشاعرين صديقان هما كشمسي فلك يرصدهما طرف وطرفك لرعاكم إلى سطوع شهرتهما في الشعر وتعلقه بهما .

(٦) يُعَاطِلُهُ : يسوقه ويبعده .

١٦ - إسماعيل صبرى باشا^(١)

قال :

ضِّنْتُمْ آمِنًا مِّنَ الْأَوْصَابِ^(٢)
مُّمِّلِّيَّةِ خَلْفَتُكَ لِلِّإِعْنَابِ^(٣)
مِنْكَ إِلَّا مَا تَشَتَّكَى مِنْ عَذَابِ
وَإِنْ مَا نُصْصَّ فِي غُضُونِ الْكِتَابِ^(٤)
تَفَقَّدْتَ حَادَ سَالِمًا لِلثُّرَابِ^(٥)

إِنْ سَيَّمْتَ الْحَيَاةَ فَازْجِعْ إِلَى الْأَزْ
تِلْكَ أُمَّةَ أَخْنَى عَلَيْكَ مِنَ الْأَمْ
لَا تَنْخَفْ ؛ فَالْمَمَّاتُ لَيْسَ بِمَاجِ
كُلُّ مِيتٍ بِاقِي ، وَإِنْ خَالَفَ الْعَهْ
وَحِيَاةُ الْمَرءُ اغْتِرَابٌ فِي أَنْ ما

وقال يناجى الدواة :

لِوْفُودِ الْأَقْلَامِ حِينَكَ فَحِينَكَ^(٦)
تَارَةَ آسِنَا وَأُخْرَى مَعِينَكَ^(٧)

يَا دَوَاهُ اجْعَلِي مَدَادَكَ وَرَدَأَ
وَلِيَكُنْ كَالْزَّمَانِ حَالًا وَحَالًا

(١) ولد إسماعيل صبرى باشا سنة ١٨٥٤ م . وتتعلم بالمبتديان والتجهيزية والإدارة . ثم أرسل إلى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل في مصر مناصب القضاء ، وجعل يترقب فيها إلى أن صار وكيل الحقانية ؛ وقد شفف بالأدب لذاته ، وكان لرقة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسي أثر في رقة شعره وحسن ابتساره وجمال نقه ، له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فني ؛ مات سنة ١٩٢٣ م .

(٢) الأوصاب : جمع وصف بفتحتين ، المرض والوحج الدائم . ورجوعه إلى الأرض . لأنه خاتق من ترايهاته

(٣) أخنى : أعطف وأرقق ، والأم الأولى : الأرض . والثانية : الأم الحقيقة ذات الولد . والأتعاب

جمع ، تعب .

(٤) في غضون الكتاب : في أذنـائـه . هذا البيت ينفي التدليل على البيت الذي قبله ، فإنه قرر في ذلك البيت أن الموت لا يحيو من الإنسان شيئاً ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفي هذا البيت يقول ؟ إن كل ميت هو في الواقع حي ، وإن كان الموت معروفاً بأنه عدم الحياة ، وذلك كشأن العنوان إذا خالف الواقع ما نص عليه في صلب الكتاب .

(٥) هذا البيت جار مجرى البيت الذي قبله ، وهو من آخر الشعر وأروعه .

(٦) الورد بكسر الواو : الماء الذي يورد .

(٧) الآسن : الراكد المتغير . والمعين بفتح الميم : الماء الجارى . يطلب إلى المداد أن تكون حاله كحال الزمان في سعاده ونحسه ، وفي صفوه وكدره .

أَكْرِي الْعِلْمَ وَامْنَحِي خَادِمِيَهُ مَاءِكَ الْفَالِيَ النَّفِيسَ الشَّعِينَا
 وَابْذُلِي الصَّافَ المُطَهَّرَ مِنْهُ
 لِهُدَاهُ السَّرَّايرِ الْمُرْشِدِينَا
 وَإِذَا الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ اسْتَعَانَا
 يَوْمَ نَخْسِ بِأَجْهَلِ الْجَاهِلِينَا
 وَاسْتَمَدُّا مِنَ الشَّرُورِ مَدَادًا
 فَاجْعَلْنِيهِ مِنْ قِسْمَةِ الظَّالِمِينَا
 وَإِذَا هَمْجَهُ الْحَمَائِمُ أَسْدَتْ
 تَقْطَةً سِرَّهَا الْرَّكَى الْمُصُونَا^(١)
 فَاجْعَلْنِيهَا عَلَى الْمَوَدَّاتِ وَقْفًا
 وَهَبِّهَا رَسَائِلَ الشَّيْقِينَا^(٢)
 فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكَ إِلَّا
 مَا أَعْدَ الْإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينَا
 فَاجْعَلْنِيهِ حَظِّي لَا كُتُبَ مِنْهُ^(٣)

وقال رحمة الله :

يَا مَوْتُ خُذْ مَا أَبْقَيْتَ أَزْ
 يَنِّي وَيَنْكَ خَطْوَةً

وقال :

وَلَمَّا التَّقِيَنَا قَرَبَ الشَّوْقِ جُهْدَهُ
 شَجَيْيَنِ فَاضَا لَوْعَةً وَعِتابًا^(٤)
 كَانَ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ
 تَسَرَّبَ أَنْاءَ الْعِنَاقِ وَغَابَا

(١) الهجة : دم القلب . والحماء : جمع حامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللطف وطهر القلب .

(٢) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جم مودة . الشيقين : المشتاقين .

(٣) حظى : نصيبي .

(٤) شجيين : حزينين من شدة الشوق . مبني شجي (بتضديد الياء) . الوعة : حرقة الوجد .

وقال في ساعة التوديع :

أَتُرِى أَنْتَ خَافِلِي سَاعَةَ التَّوْدِيعِ ؟
 دِيعَ يَا قَلْبِي فِي غَدِيْ أَمْ نَصِيرِي ؟
 وَيْكَ ؛ قُلْ لِي ، مَتَى أَرَاكَ بِحَسْبِي
 رَاضِيًّا عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟
 لَسْتَ بَعْضَ الْمَهْدَاءِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِي
 قِيفَ قَلِيلًا ؛ فَلَمَسْتُ بِالْمَاجُورِ (١)
 لَسْتَ بَعْضَ الْمَهْدَاءِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِي
 لِلْمُحِبِّينَ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢)
 لَا تَحِينِي أَرْوَحِي الْفَدَاءِ لِمَا حَيَّ
 لَكَ غَدًا مِنْ صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ (٣)

وقال يتغزل :

أَبْشِكِ مَا بِي فَإِنْ تَرَحَّبِي
 رَحْمَتِ أَخَا لَوْعَةِ مَاتِ حُبَّا (٤)
 وَأَشْكُو النَّوَى مَا أَمَرَ النَّوَى
 عَلَى هَامِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقَ لَبَّا (٥)
 وَأَخْشَى عَلَيْكِ هُبُوبَ النَّسِيمِ
 وَأَسْنَ — تَغْفِرُ اللَّهُ مِنْ بِرْهَةٍ فِيكِ صَبَّا (٦)

(١) الحناء بضم الحاء : جمع حاد ، الفى يسوق الإبل ويغنى لها . يريد من قلبه أن يثبت في مكانه الذى هجره ليسير في ركب الأحبة ويفسح لهم ، وذلك كناية عن دوام خلقه . وهو من المبالغات البديعة .

(٢) البين : البعد والفارق . وقدت قطعت .

(٣) حان الشىء يحين : قرب وقته . يقول : لا تقتربى يا ساعة الفراق ، روحى فداء لمن يمحوك غداً من الزمن .

(٤) اللوعة : حرقة الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .

(٥) النوى : البعد والفرق . والهام : العاشق .

(٦) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . الصب : العاشق الشديد العشق .

تَعَالَى مُجَدِّذُ زَمَانَ الْهَنَاءِ وَنَهَبَ لِيَالِيهِ الْفُرَّٰ تَهْبَا^(١)
تَعَالَى أَذْقُ طَعْمَ السَّلَامِ وَحَسْبِي وَحَسْبُكِ مَا كَانَ حَرْبَا^(٢)

وقال يتغزل :

مُتَيَّماً أَنْتِ فِي الْخَالِينِ دُنْيَا^(٣)
لَطْفًا يَعْمَ رَعَايَا الْلَّطْفِ رَيَا^(٤)
مِنَ الرَّيَاحِينِ حَيَانًا بِهَا اللَّهُ
هَذَا جَمَالُكِ يُعْنِيَنَا مُحَيَا^(٥)

يَا رَاحَةَ الْقَلْبِ يَا شُفْلَ الْفُوَادِ صَلِي
زِينَى النَّدِيَ وَسِيلِي فِي جَوَابِيَهِ
رَيْحَانَةَ أَنْتِ فِي صَحْرَاءِ مُجَدِّبَهِ
إِنْ غَابَ سَاقِ الطَّلَّاً وَصَدَّ، لَا حَرَجَ

وقال متغزاً :

وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَ^(٦)
حَمَلَ الصَّبَابَةِ فَأَخْفِقْ وَحْدَكَ الْآنَا^(٧)

أَقْصَرْ فُوَادِي فَمَا الدُّكْرِي بِنَافِعَةِ
مَلَأَ الْفُوَادَ الَّذِي شَاطَرَتِهِ زَمَنَا

(١) الفر : جمع غراء بتشديد الراء : يريد الحسان .

(٢) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهذا شبيه بقول العباس بن الأحلف

تعالى نجدد دارس العهد بيتنا كلانا على طول الجفاه ملوم

(٣) المتيم ، الذى استذله الحب . وفي الحالين ، أى في حال الوصل والهجر .

(٤) الندى ، بتشديد الياء . النادى . والريبا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .

(٥) الطلا بكسر الطاء : انحر . والهيا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

(٦) أقصر : كف وأقلع

(٧) سلا : هجر ونسى . يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادله الحب . والصبا بهفتح الصاد : العشق .

هَلَّا أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أُهْبَتَهُ
هَلَّا فِي عَلَيْكَ قَضَيْتُ الْعُمَرَ مُقْتَحِمًا
مِنْ قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانًا^(١)
فِي الْوَصْلِ نَارًا وَفِي الْهِجْرَانِ نِيرًا^(٢)

وَمِنْ قَوْلِهِ فِي التَّصَوُّفِ :

لِلظَّالِمِينَ غَدًا وَلِلْفُجَارِ؟
وَالْأَرْضِ شَبِّرًا خَالِيًّا لِلنَّارِ
شَطَطَتِ الْعُقُولُ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ
غَضَبَ الْلَّطِيفُ وَرَحْمَةَ الْجَبَارِ^(٣)
عَلَمِي بِأَنَّكَ حَالُمُ الْأَسْرَارِ^(٤)
أَلَا تَضْيِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ^(٥)
وَقَالَ يَرْفِنِي «عُمَر» ابْنُ الْمَرْحُومِ الشَّيْخِ عَلَى يُوسُفِ وَقَدْ ماتَ صَغِيرًا :

يَا رَبَّ : أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمُ
لَمْ يُبَقِّ عَفْوُكَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَىِ
يَا رَبَّ : أَهْلِنِي لِفِضْلِكَ وَأَكْفِنِي
وَمِنْ الْوُجُودِ يَشْفَعُنِي كَمْ أَرَى
يَا عَالَمَ الْأَسْرَارِ حَسْنِي مِنْهُ
أَخْلِقْ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسْعَ الْوَرَىِ

يَا مَائِلَ الْعَيْنِ نُورًا وَالْفُوَادَ هَوَىِ
لَا تَنْهُلْ أَفْقَكَ، يَخْلُفُكَ الظَّلَامُ بِهِ

(١) الأهبة بضم المهمزة وسكون الماء : العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبة أي هيأت له أسبابه . والأشجان : المهموم والأحزان ، وأحدها شجن ، يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة والهجران ، فأعاددت له عدته قبل أن تندفع في تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق هوماً وأحزاناً بما تعاني من القطيعة .

(٢) افتح النار : أي رمى بنفسه فيها ، وهجم عليها .

(٣) شف الشيء يشف من باب ضرب : رق ظهر ما وراءه . اللطيف : المراد به هنا الذات الإلهية وكذلك الجبار .

(٤) الحنة : البلية والمصيبة ، يقول : يكفي مصيبة علمي بأنك تعلم السر وما يخفى ، لأنك مطلع على آثارى وأوزارى .

(٥) أخلق به أن يفعل كذا : أي ما أحقق بفعله ؟ الأوزار : جمع وزر يكسر الواو وهو الإثم .

(٦) الهوى : الحب .

(٧) يخلفك : يجعل حملك ، ولا يحمل : لا يحمل ، وقد فلت الإدغام لضرورة الشعر .

فِي الْحَىٰ قَلْبَانِ بَاتاً، يَا نَعِيمَهُمَا،
وَفِيهِمَا، إِذْ قَضَيْتَ النَّارَ تَسْتَعِرُ^(١)
وَمِنْ بَكَاءِ الشَّكَالِيِّ: السَّيْلُ وَالْمَطَرُ^(٢)
يَرُوحُ فِيهِ وَيَغْدُو نَفْحُهَا الْعَطْرُ^(٣)
إِلَّا كَمَا حَشَّ فِي أَكَامِهِ الزَّهْرَ^(٤)
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ بَعْدَ الْقَبْرِ يَا عُمَرُ^(٥)

وَأَعْيُنُ أَرْبَعَهُ تَبَكِّي عَلَيْكَ أَسَى
قَدْ كُنْتَ رَيْحَانَةً فِي الْبَيْتِ وَاحِدَةً
مَا كَانَ عَيْشَكَ فِي الْأَحْيَاءِ مُخْتَصِّرًا
فَارْحَلْ تُشَيِّعُكَ الْأَرْوَاحُ جَازِعَةً

وله يحمس المصريين على لسان فرعون :

لَا أَنْقَوْمُ قَوْمِي وَلَا أَأْعُوْنَ أَعْوَانِي
وَلَسْتُ إِنْ لَمْ تُؤْيِدْنِي فَرَاعِنَةً
إِذَا وَنَّى يَوْمَ تَحْصِيلِ الْمُلَا وَانِي^(٦)
مِنْكُمْ بِفِرْعَوْنَ حَالِي الْعَرْشِ وَالشَّانِ^(٧)

* * *

لَا تَقْرَبُوا النَّيْلَ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا أَعْمَالًا
فَسَاوِهُ الْعَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسْلَانِ

(١) الحى : منازل القوم ، ويريد به بيت أبيه ، والقلبان : قلب والده وقلب والدته . وبانيهما : أى في حال حياة ولدهما ؛ وقضيت : مت ، وتستعر : تلمب .

(٢) الأعين الأربع : عيناً أبيه ، وعيناً أمها . والأسى : الحزن . والشكالى : جمع ثاكل وهو الذى يفقد ولده . والمدى أن أعين والديك تبكي من الحزن لفقدك ، ودموع الفاقدين أولادهم تشبه السيل والمطر في تدفقه وانهصاره .

(٣) كان رمحانة واحدة ، لأنَّه لم يكن لوالديه غيره . النفع : الرائحة . والمطر بفتح العين وكسر الطاء الطيب الرائحة .

(٤) مختصرًا أى قصيراً ، والأكام : جمع كم بكسر السكاف ، وهو الغلاف الذى يحيط بالزهرة ؛ وهو لا يليث أى ينشق ، فتخرج الزهرة ، ويضرب بالزهرة المثل في قصر العمر .

(٥) تشييعك : تودعك ، وجازعة : شديدة الحزن .

(٦) الأعوان : جمع عنون وهو النصیر ، وونى : فقر وضعف ، وتحصيل العلا : نيل محمد الأمور .

(٧) المأن : الأمر ، والمراد الذى عظم أمره ، وسمى منزلته .

وقال في مسامحة الصديق :

إذا خانني خليل قدِيم وعَقْنِي
 وفوقَتْ يوْمًا فِي مَقَاتِلِه سَهْمِي^(١)
 تَعَرَّضَ طَيفُ الْوُدُّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَكَسَرَ سَهْمِي فَانثَيْتُ وَلَمْ أَرْمُ

١٧ — الشيخ محمد عبد المطلب^(٢)

قال في احتفال الأمة المصرية بعيد النَّيْرُوز سنة ١٩١٩ م ، يفخر بعصر

ويعدّ ما آثرها من قصيدة طويلة :

لَنَا ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الَّذِي تَحْتَ ظِلِّهِ
 تَنَاسَلَتِ الْأَحْقَابُ وَاعْتَمَلَ الدَّهْرُ^(٣)
 لَنَا آيَةُ الْأَهْرَامِ يَتَلُو قَدِيمَهَا
 حَدِيثُ الْلَّيَالِي فَهُنَّ فِي فَمِهَا ذِكْرُهُ
 مَلَأْنَا بِهَا لَوْحَ الْوُجُودِ مَنَاقِبَهَا^(٤)
 إِذَا مَا خَلَّ عَصْرٌ تَلَاهُ بِهَا عَصْرُهُ
 عَلَى الْدَّهْرِ آيَاتٌ بِهَا يَنْطِقُ الصَّخْرُ
 وَلِلْعِلْمِ مِنْ آثارَنَا فِي جِبالِنَا

(١) عقه : عصاء ولم يبر به ، وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة : جعل الوتر في فوقه عند الرمي
 والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم ، يريد أنه إذا عصاء ولم يبر به سدد إلى مقاتله السهم ، كناية عن
 إيذائه والكيد له .

(٢) هو محمد بن عبد المطلب بن واصل ، ولد ببلدة « باصونة » إحدى قرى مديرية جرجا ، وأبوه
 هريان ينتميان إلى أسرة تتصل بعشيرة من عشائر جهينة التي هي إحدى بطون قضاة ؛ تعلم في الأزهر ،
 وتخرج في دار العلوم ، وقد كان مدرساً للعلوم العربية بها كان واسع الاطلاع على المحفوظ من قصائد
 العرب المطولة ، شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقادها وعلمائها وشعرائها ، شديد الغيرة على العربية
 والإسلام ، وتميز شعره بجزالة الألفاظ ، ومتانة التراكيب ، وقوه القافية . وقد تغنى في شعره بأعلام
 الباذية ومعالمها حتى لقب بالشاعر البدوى . على أن شعره قد حوى موضوعات عصرية شتى كوصف
 المربى الكبير وحديث السياسة المصرية وغيرها . ومات سنة ١٩٣١ م . عن ستين عاما . وله ديوان
 مطبوع .

(٣) اعتمل الدهر : اضطرب .

(٤) مناقب : جم منقبة أي مفخرة .

عَلَى تَاجِهِ الْأَفْلَاكُ وَالْأَنْجُومُ الْزَّهْرُ^(١)
 عَلَى الْبَحْرِ يَسْتَحِي لِصَوْلَتِهَا الْبَحْرُ^(٢)
 بِهَا تَعْمَرُ الْأَمْصَارُ وَالْبَلْدُ الْقَفْرُ^(٣)
 لَنَا ذِمَّةً وَالدَّهْرُ شَيْمَةُ الْغَدْرُ^(٤)
 مَكَارِمُ فِي طَيِّ الزَّمَانِ لَهَا نَشَرُ^(٥)
 مَنَازِلَ عَزٌّ دُونَهَا يَقْعُ النَّسْرُ^(٦)
 وَلِكُنَّ خِذْلَانَ الْبِلَادِ هُوَ الْكُفْرُ^(٧)
 بِنَا قَدَمُ أَوْ مَسَّ وَحْدَتَنَا الضُّرُّ^(٨)

وَلِلْمُلْكِ مِنَا كُلُّ أَرْوَعَ نُظِّمَتْ
 وَمِنَا الَّذِي سَاقَ الْأَسَاطِيلَ شُرَّعًا
 لَنَا كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَدَنِيَّةٍ
 لَنَا فِي الْوَرَى حَقُّ الْمُعَلَّمِ لَوْ رَعَوَا
 إِذَا اعْتَزَّ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ سَمِّتْ بَنَاءً
 بَنَيْنَا عَلَى آدَابِ عِيسَى وَأَحْمَدَ
 كَلَّا نَا عَلَى دِينِ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ
 فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ أَنَّا نَرْزَلْنَاتْ

وقال من قصيدة له في المعلم :

يُرْسِي النَّاسُ فِيهَا يَكْبُرُونَ وَيَصْرُ^(٩)
 يَعْمَلُونَ بِهِ الدُّنْيَا صَبَاحًا فَتُقْمَرُ^(١٠)
 تَنَامُ حَوَالَيْهِ النَّجُومُ وَيَسْهُرُ^(١١)
 يَخْطُّ عَلَيْهَا فِي الظَّلَامِ وَيَسْطُرُ^(١٢)

بَنَى مِصْرَ مَا بَالُ الْمُعَلَّمِ كَاسِفًا
 سَبِيلُ النَّبِيَّيْنِ الْسَّكِيرَامِ سَبِيلُهُ
 سَلُوا عَنْهُ جَنْحَ اللَّيْلِ كَمْ بَاتَ مُتَعَبِّدًا
 سَلُوا عَنْهُ عَيْنَاهُ قَرَّحَ الشَّهَدُ جَفْنَاهَا

(١) الأروع : السيد الشهم .

(٢) شرعاً : ضاربات بأشرعتها في الجو . الصولة : البطش .

(٣) البلد الفجر : الحالى من النبات .

(٤) يريد أن لنا تاريخاً مجيداً مطويًا في السنين الحالية تنشر أخباره على الأيام وهو مبعث العزة فيما يعتز علينا بالمخترعات الحديثة . (٥) النسر : طائر جارح لا يقع إلا على القمم العالية .

(٦) كاسفاً : حزيناً .

(٧) النبيين : جمع نبى مهمورى نبى . فتقمر : يريد فتضىء .

(٨) جنح الليل : ظلامه . تنام النجوم : يريد تغيب .

فَلَا إِنْزَهُ مَأْمُولٌ وَلَا هُوَ يُعْذَرُ
 سَلُوا عَنْهُ أَسْفَارًا قَضَى اللَّيلَ بَيْنَهَا
 غَرِيبًا عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلُهُ حُضُورٌ
 سَلُوا عَنْهُ قَلْبًا بَاتَ يَخْفُقُ رَحْمَةً
 عَلَى فِتْيَةٍ مِنْ حَوْلِهِ تَتَضَوَّرُ
 فَإِنْ مَدَ لِلْدُنْيَا يَدًا يَسْتَمِدُهَا
 لَهُمْ، عَنْهُ وَلَتْ وَهْيَ غَضْبِيَ تَشَرَّرُ
 فِيهَا وَيَحْكُمُ كَمْ يَشْتَكِي فِي حَيَاتِهِ
 وَكُمْ يَتَلَقَّى مِنْ بَلَاءٍ فَيَصْبِرُ
 وَلَمْ تَجِدْ إِلَّا بِالْمُعْلَمِ أُمَّةٌ
 وَلَا سَادَ إِلَّا بِالْمُعْلَمِ مَعْشَرٌ
 فَإِنْ لَمْ يَطِبْ بِالْعِيشِ نَفْسًا وَلَمْ يَكُنْ
 لَهُ بَيْنَ أَهْلِيِّهِ الْمَقَامُ الْمُوَقَّرُ
 رَأَيْتَ شَبَابًا يُطْفِئُ الْجَهَلَ نُورَهُ
 وَنَشَئًا إِذَا هُمُوا إِلَى الْمَجْدِ قَصَرُوا^(١)
 وَنَشَئًا إِذَا هُمُوا إِلَى الْمَجْدِ قَصَرُوا^(٢)

١٨ - حافظ إبراهيم^(٣)

قال يصف الشمس :

لَاحَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاظِرِينَ فَنَسُوا بِاللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَبَينُ^(٤)
 وَمَحَتْ آيَتَهُ آيَتَهُ فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ

(١) أَسْفَارًا : كثبا ، جمع سفر بكسر السين . حضر : جمع حاضر .

(٢) تَضَوَّر : تتلوى من الجوع .

(٣) يَسْتَمِدُهَا : يطلب منها المدد أي المعونة . تَشَرَّر بحذف أحدى التاءين : تنظر إليه بغضب وزراية .

(٤) النَّشَاء : جمع ناشيء وهو الصغير .

(٥) هو المرحوم حافظ بك إبراهيم ، ولد حوالي سنة ١٨٧٢ م . وتعلم في المدرسة الخيرية ، ثم تخرج ملازما وسافر إلى السودان ، ثم أحيل إلى المعاش ، ثم عين رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب ، وتوفي سنة ١٩٣٢ م . وكان شاعراً جيد الأسلوب ، قوي اللهظ ، موفقاً في الاجتماعيات ، ملهياً للشعور الوطني بها ينشئ من قصائده السياسية .

(٦) وَضَاحَ الْجَبَينُ : القمر .

نظرَ أَبْرَاهِامَ فِيهَا نَظْرَةَ
قالَ : ذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفْلَتَ
وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا
رَبِّ إِنَّ النَّاسَ صَلُّوا وَغَوَّا
خَشِّعَتْ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَّتْ
نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً
نَظَرُوا بَدْرَ الدُّجَى مِرْأَتِهَا
هُمْ قَالُوا : كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا
هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا
هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا
هِيَ طَلْعُ الرَّوْضِ نَوْرًا وَجَنْيَ
هِيَ مَوْتٌ وَحَيَاةٌ لِلْوَرَى
صَدَّقُوا لِكَنْهُمْ مَا عَلِمُوا أَنَّهَا خَلْقٌ سَيِّئَلَى بِالسَّنَينِ

(١) أَبْرَاهِيمَ : لُغَةُ إِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَيُشَيرُ بِذَلِكَ إِلَى مَا فَصَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ قَالَ تَعَالَى : « فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بِأَزْغَةِ الْآيَةِ : وَقَوْلُهُ : « فَأَرَى الشَّكَ » لِمَنْ ؟ أَيْ أَظْهَرَ لِقَوْمِهِ أَنَّهُ شَاكٌ فِي الإِلَهِ لِكَيْ يَهْدِيَهُمْ إِلَيْهِ وَهُوَ مُتَيقِنٌ بِوُجُودِهِ ٠

(٢) أَفْلَتَ : غَابَتْ (٣) السُّلْطَانُ : الْحَجَةُ

(٤) يُشَيرُ بِقَوْلِهِ : « هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ » ، إِلَى مَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ الْأَرْضَ كَانَ جُزُءًا مِنَ الشَّمْسِ ثُمَّ افْتَصَلتْ عَنْهَا وَبَرَدَ ظَاهِرُهَا بِتَطاوِلِ الزَّمْنِ ٠

(٥) الْمَعْنَى : النَّابِعُ مِنَ الْعَيْوَنِ ٠

(٦) يَرِيدُ « بِالظَّلْعِ » : مَا يَبْدُو مِنَ النَّثْرَةِ فِي أُولَى ظَهُورِهَا ٠ وَنُورُ النَّبَاتِ بِفَتْحِ النُّونِ : زَهْرَهُ ٠ وَالْجَنْيَ : مَا يَجْنِي مِنَ الشَّجَرِ ٠ وَنَسْرُ الْوَرْدِ : رَائْحَتُهُ الْمُنْتَشِرَةُ مِنْهُ ٠

-
- (١) أَبْرَاهِيمَ : لُغَةُ إِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَيُشَيرُ بِذَلِكَ إِلَى مَا فَصَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ قَالَ تَعَالَى : « فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بِأَزْغَةِ الْآيَةِ : وَقَوْلُهُ : « فَأَرَى الشَّكَ » لِمَنْ ؟ أَيْ أَظْهَرَ لِقَوْمِهِ أَنَّهُ شَاكٌ فِي الإِلَهِ لِكَيْ يَهْدِيَهُمْ إِلَيْهِ وَهُوَ مُتَيقِنٌ بِوُجُودِهِ ٠
- (٢) أَفْلَتَ : غَابَتْ (٣) السُّلْطَانُ : الْحَجَةُ
- (٤) يُشَيرُ بِقَوْلِهِ : « هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ » ، إِلَى مَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ الْأَرْضَ كَانَ جُزُءًا مِنَ الشَّمْسِ ثُمَّ افْتَصَلتْ عَنْهَا وَبَرَدَ ظَاهِرُهَا بِتَطاوِلِ الزَّمْنِ ٠
- (٥) الْمَعْنَى : النَّابِعُ مِنَ الْعَيْوَنِ ٠
- (٦) يَرِيدُ « بِالظَّلْعِ » : مَا يَبْدُو مِنَ النَّثْرَةِ فِي أُولَى ظَهُورِهَا ٠ وَنُورُ النَّبَاتِ بِفَتْحِ النُّونِ : زَهْرَهُ ٠ وَالْجَنْيَ : مَا يَجْنِي مِنَ الشَّجَرِ ٠ وَنَسْرُ الْوَرْدِ : رَائْحَتُهُ الْمُنْتَشِرَةُ مِنْهُ ٠

أَإِلَهٌ لَمْ يُنَزِّهْ ذَاتُهُ عَنْ كُسُوفٍ ، بِئْسَ زَعْمُ الْجَاهِلِينَ
إِنَّا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَهَا مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
حِكْمَةٌ بِالْفَةٍ قَدْ مَثَلَتْ قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ غَافِلِينَ

وقال على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها :

وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاَتِي^(١)
عَقْمَتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَائِي^(٢)
رِجَالًا وَأَكْفَاءَ وَأَدَتْ بَنَائِي^(٣)
وَمَا ضَقْتُ عَنْ آيِيهِ وَعَظَاتِ^(٤)
وَتَذَسِّيقِ آشْمَاءِ لِمُخْتَيَّاتِ
فَهَلْ سَاعَلُوا النَّوَاصِ عنْ صَدَفَاتِي^(٥)
وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَ الدَّوَاءُ أَسَاتِي^(٦)
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي^(٧)

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَهْمَتُ حَصَائِي
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيَتَنِي
وَلَدَتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِصَائِسِي
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفَظًا وَغَایَةً
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَهِ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنْ
فِيَاوَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبَلَّى مَحَاسِنِي
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي

(١) رجعت لنفسي : أى تأملت . والحساء : الرأى والعقل . واحتسبت حيائى : عدتها عند الله فيها يدخل . يقول على لسان اللغة العربية لى عدت إلى نفسي وفكرت فيما آآل إليه أمرى ، فأسألت العطن بقدرتي ، وكدت أصدق ما رموني به من القصور ، وناديت الناطفين بى أن ينصروني فلم أجد منهم سبيعاً ، فادخرت حيائى عند الله .

(٢) العدا : الأعداء . يقول : اتهموني بأنى لا ألد على حين أنى في رباع شبابي . وليتني كنت كما قالوا فلا يحزنني قولهم . ويكتفى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها .

(٣) يزيد « بالمرائى » الألفاظ الجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنهما حية .

(٤) الآى : جمع آية .

(٥) الأساة : جمع الآسى : وهو الطبيب .

(٦) تكالونى : تتركونى . وتحين : تحمل .

أَرَى لِرِجَالِ الْفَرَبِ عِزًا وَمَنْعَةً
 أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ تَفَنَّا
 أَيْطَرُ بُكْمٌ مِنْ جَانِبِ الْفَرَبِ نَاعِبٌ
 وَلَوْ تَرْجِرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ
 سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمَا
 حَفْظَنَ وَدَادِيَ فِي الْبَلَى وَحَفْظَتُهُ
 وَفَاخْرَمْتُ أَهْلَ الْفَرَبِ وَالشَّرْقِ مُطْرَقٌ
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقاً
 وَأَسْمَعْتُ لِكُتُّابَ فِي مَصْرَ ضَجَّةً
 أَيْهُجْرِنِي قَوْمِي — عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ —
 سَرَّتْ لُوَثَةُ الْأَفْرَنجِ فِيهَا كَاسِرَى

وَكُمْ عَزٌّ أَقْوَامٌ بِعَزٌّ لُغَاتٌ^(١)
 فِيَالِيَّتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلَمَاتِ
 يُنَادِي بِأَدِي فِي رَبِيعِ حَيَاةٍ^(٢)
 بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثَرَةٍ وَشَتَّاتٍ^(٣)
 يَعْزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي^(٤)
 لَهُنَّ بِقَلْبٍ دَائِمٍ الْحَسَرَاتِ
 حَيَاةٌ بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخَرَاتِ^(٥)
 مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِي بِغَيْرِ آنَاءَ^(٦)
 فَأَغْلَمُ أَنَّ الصَّاحِينَ نَعَّاتِ^(٧)
 إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةَ^(٨)
 لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتِ^(٩)

(١) يقال : هو في منعة ، أي في قوم يمنعونه ويحمونه .

(٢) الناعب : الصوت بما هو مستكره . وربع الحياة : أيام الشباب والقوة .

(٣) زجر الطير : هو أن ترمي الطائر بمحصلة أو تصيح به ، فإن ولاك في طير أنه ميامنه تفاءلت به خيراً ، وإن ولاك ميسره تطايرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لمعلمتم ما يجر دفعه عليكم من السقوط والانحلال .

(٤) القناة : الرمح . وليتها : كثناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » من دفن في الجزيرة من العرب الأولين . (٥) النخرات : البالية المتفتقة .

(٦) المزالق : مكان الانزلاق ، أي السقوط والرال . والأنانة : النافى والإبطاء . ويريد وصف لغة المجرائد إذ ذاك بالضعف .

(٧) النعاء : جمع ناع ، وهو الخبر بالموت .

(٨) لم تتصل برواية . أي لم يأخذها الحلف عن السلف بطريق الرواية التي تحفظها من الغير كما هو الشأن في العربية . ويشير إلى تلك اللغة المرقمة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة ؟ وكان ذلك في سنة ١٩٠٣ .

(٩) اللوحة بالضم : عدم الإباتة . ولعاب الأفاعي : سهلا . والفرات : الماء العذب .

نَجَاءَتْ كَثَوْبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً
مُشَكَّلَةُ الْأَلْوَانِ مُخْتَافَاتٍ

(١) بَسَطَتْ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي
إِلَى مَعْشَرِ الْكِتَابِ وَاجْمَعُ حَافِلٌ

(٢) وَتَبَعَتْ فِي تَلَكَ الرَّمُوسُ رُفَاقِي
فَإِمَّا حَيَاةً تَبَعَتُ الْمَيْتَ فِي لَبْلَى

وَإِمَّا نَمَاتُ لَعْمَرِي لَمْ يُقْسِنْ بِعَمَاتٍ
وَإِمَّا نَمَاتُ لَعْمَرِي لَمْ يُقْسِنْ بِعَمَاتٍ

وَمِنْ قُصْيَدَةِ لَهُ دُعَاهَا «غَادَةُ الْيَابَانِ» ضَمَّنَهَا غَرَامَهُ بِفَادَةِ يَابَانِيَّةٍ؛ وَأَشَادَ
بِالشُّجَاعَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ بِهَا أُمَّةُ الْيَابَانِ فِي الْحَرْبِ يَيْنَهَا وَبَيْنَ رُوسِيَا :

صَحَّ مِنِي الْعَزْمُ وَالدَّهْرُ أَبِي
لَا تَلْمِ كَفَّيْ إِذَا السَّيْفُ نَبَّا

أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَاهَا
رُبَّ سَاعَ مُبَهِّصِرٍ فِي سَعْيِهِ

كَانَتِ الْعُلْيَا فِيهِ السَّبَّابَا
مِنْ حَبَّا بِالْحَطْبِ يَبْلُونِي إِذَا

أُولَمِ الْحَسَنَى عَقَقْتُ الْأَدَبَا
عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي

إِيْهِ يَا دُنْيَا اعْبُسِيْ أَوْ فَابِسِيْ
لَا أَرَى بَرْقَكَ إِلَّا خُلَّابَا

خَذَلَّا مَا بَتْ أَشْكُوُ النُّوَبَا
أَنَا لَوْلَا أَنَّ لِي مِنْ أُمَّتِي

بَعْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّ الْفُرَبَا
أُمَّةٌ قَدْ فَتَّ فِي سَاعِدَهَا

(١) الشَّكَاتِي : الشَّكَوِي .

(٢) تَبَعَتُ الْمَيْتَ : تَحْيِيهِ . وَالرَّمُوسُ : الْقَبُورُ ، الْوَاحِدُ رَمْسُ . وَالرَّفَاتُ : كُلُّ مَا تَكْسِرُ وَبَلِي ، يَرِيدُ مَا يَبْقَى مِنَ الْجَسَدِ بَعْدَ الْمَوْتِ .

(٣) نَبَّا السَّيْفُ : كُلُّ وَارْتَدَ .

(٤) يَبْلُونِي : يَخْتَبِرُني .

(٥) عَقَهُ : تَرَكَ الْإِحْسَانَ لِيْهُ وَلَمْ يَبْرُ بِهِ . يَقُولُ إِنَّ الدَّهْرَ لَمْ يَنْصُفْنِي ، وَالْجَانِيُّ عَلَى هُوَ أَدْبِي ، وَلَوْلَا أَنِّي أُولَمِ الْإِحْسَانَ لَهُجَرْتُ الْأَدَبَ الَّذِي كَانَ سَبَبًا فِي شَقَائِي .

(٦) الْبَرْقُ الْحَلْبُ : الَّذِي يَطْعَمُ النَّاسَ فِي مَطْرَهُ وَيُخْلِفُهُمْ .

(٧) فَتَّ فِي سَاعِدَهَا : عِبَارَةٌ يَكْنِي بِهَا عَنِ الإِضْعَافِ وَلِيَهَا الْقُوَى .

تَعْشَقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْمُلَا
 وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهِدُهَا
 لَا تُبَالِي لَعْبَ الْقَوْمِ بِهَا
 لَيَهَا تَسْمَعُ مِنْيَ قِصَّةً
 كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً
 ذَاتَ وَجْهٍ مَنْجَ المُحْسِنُ بِهِ
 حَمَلتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَّا
 وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَاللَّيلُ فَتَّى
 ثُمَّ قَالَتْ لِي بَشَّرَ بِاسْمِ
 نَبْئُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ
 وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي
 نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرِي جِلْدَهُ

وَتُفَدِّي بِالنُّفُوسِ الْوَثَبَأَ
 تَعْشَقُ اللَّهُ وَقَهْوَى الطَّرَبَا^(١)
 أَمْ بِهَا صَرْفُ الْلَّيَالِي لَعِبَأَ^(٢)
 ذَاتَ شَجُوْ وَحَدِيشًا عَجَبَأَ^(٣)
 وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَأَ^(٤)
 صُفْرَةَ تَنْسِي الْيَهُودَ الْدَّهَبَأَ
 لَأَرْعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَأَ
 وَهَلَالُ الْأَفْقِ فِي الْأَفْقِ حَبَّا^(٥)
 نَظَمَ الدَّرَّ بِهِ وَالْحَبَّا^(٦)
 لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبًا^(٧)
 عَلَى أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَأَ^(٨)
 أَيَّظْنُ الدُّبَّ أَلَا يُغْلَبَأَ^(٩)

(١) والأحداث تستهدفها : أى أن حوادث الدهر يجعلها هدفاً لها ترميمه .

(٢) يريد « بالقوم » : الإنجليز . وصرف الـليالي : غيرها ونوائبهما ، أى أنها لاتعبأ بحوادث الزمان تصفيهما من المحتلين أو من الدهر .

(٣) يقال شجاوه شجواً ، إذا هيج أحزانه وشوقه .

(٤) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

(٥) والليل فتى : أى في أوله . وشبه الهلال في أول طلوعه بالطفل الذي يحبون في مهدته .

(٦) الحبيب : الفقاقيع التي تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان في بياضها .

(٧) المنقلب : العودة والرجوع . (٨) أغتدي : أى أبادر مبكرة للدفاع عنه .

(٩) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف إنجلترا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر .

ونفري : نشق ويشير بهذا البيت إلى الحرب التي نشببت بين اليابان وروسيا في ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م . وانتهت بالصلح في يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م .

قلتُ وَالآلامُ تَفْرِي مَهْجَبِي
 وَيُكَ ، مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظَّبَا^(١)
 يَتَسْغِي مَلْهَى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
 بِالْتَّمَنِي أَوْ عَقْوَلًا تُسْتَبِي^(٢)
 أَمْ ظَنَنتُ الْحَظَّ فِيهَا كَاشِبَا^(٣)
 وَرَكِبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا^(٤)
 أَسْدَلَ النَّقْعَ عَلَيْهَا هَيْدَبَا^(٥)
 فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبَا^(٦)
 تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعَ يَمْشِي الْهَيْدَبَى^(٧)
 وَالْزَّمِي يَا ظَبَيَّةَ الْبَانِ الْخَبَا^(٨)
 وَأَرَثَنِي الظَّبِيَّ لِيَثَا أَغْلَبَا^(٩)
 كَيْفَ تَدْعُونِي أَلَا أَشْرَبَا ؟

مَا عَهِدْنَاهَا لِظَّبِيِّ مَسْرَحَا
 لَيْسَتِ الْحَرْبُ مُفْوِسًا لَشْتَرَى
 أَحَسِبْتَ الْقَدَّ مِنْ عُدَدَهَا
 فَسَلَيْنِي ، إِنَّى مَارَسْتُهَا
 وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِي غَارَةِ
 قَطْبَتْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا
 جَالَ عَزْرَائِي لِلَّذِي يَعْرِفُهَا
 فَأَجَابَتِنِي بِصَوْتٍ رَاعَنِي
 إِنَّ قَوْمِي اسْتَعْذُ بُوَا وَرَدَ الرَّدَى

(١) الظباء : الظباء . وقصر لضرورة الشعر . (٢) تستبي : تؤمر بالحب .

(٣) القد : القامة . والشبا : جمع شباء ، وهى حد السنان .

(٤) مارستها : أى اشتراك فيها .

(٥) ت quamت الردى : رميت بنفسى في غمرته . والنفع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرة وارتفاعه في الحرب ، كثاية عن شدتها وكثرة الكفر والغر فيها .

(٦) التقطيب : العبوس . والضمير فى (قطب) للغارة .

(٧) الهيدبى (بالمجمعنة والمهملة) : نوع من المشى فيه جد . وبشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرايل في هذه الحرب .

(٨) البان : شجر سبط القوام ابن ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) وقصر لضرورة الشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامه .

(٩) راعنى : أفرعنى ، والأغلب من السابع : الفليظ الرقبة وهي علامه القوة يقول إنها غضبت من تقصصه لها وأنها لا تصلح للحرب فأجابته بصوت أفرعه لشده وقوته واستحالات من ظي وادع إلى أسد قوى .

أَنَا يَا بَانِيَّةَ لَا أَنْدَنِي
عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْمَطَبَا^(١)
تَسْتَطِعُ كَفَّاً يَقْلِبَ الظَّبَا^(٢)
وَأَوَاسِي فِي الْوَغْيِ مَنْ نُسْكِبَا^(٣)
أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمَّا وَأَبَا^(٤)
أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا^(٥)
حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلْبَا^(٦)
وَجَلَّ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا^(٧)
وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْكِبَا^(٨)
وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَدَأْبَا^(٩)
وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارَبَا^(١٠)

أَنَا لَمْ أَخْسِنِ الرَّمَى وَلَمْ
أَخْدُمْ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ
هَكَذَا (الميكاد) قَدْ عَلِمْنَا
مَلِكَ يَكْفِيَكَ مِنْهُ أَنْهُ
وَإِذَا مَارَسْتَهُ الْفِيتَهُ
كَانَ وَالثَّاجُ صَغِيرَيْنِ مَعًا
فَغَدَا هَذَا سَماءُ الْعُلَا
بَعَثَ الْأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِهَا
فَسَمَّتْ لِلْمَجْدِ تَبَغَى شَاؤهُ

(١) المطb : الهلاك .

(٢) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهي حد السيف أو السنان .

(٣) الْوَغْي : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة .

(٤) الميكادو : لقب ملك اليابان .

(٥) الحول : الشديد الاحتياط ، لا تخذ عليه طريق إلا نفذ في أخرى . والقلب : البصیر بتحول الأمور .

(٦) تدأب : تجده في طلبها .

(٧) الشأو : الفانية .

١٩ - شـوـفـي^(١)

قال من قصيدة له يصف فيها دمشق :

آمَنْتُ بِاللَّهِ وَاسْتَثْنَيْتُ جَنَّةً
قَالَ الرَّفَاقُ وَقَدْ هَبَّتْ كَمَا تَلَهَا
جَرَى وَصَفَقَ يَلْقَانَا بِهَا (بَرَدَى)
دَخَلْتُهَا وَحَوَّا شِيهَا زُمْرَدَةً
وَالْحُورُفُ (دُمَرٌ) أَوْ حُولُ (هَامَتْهَا)
وَ(رَبُوَةُ) الْوَادِ فِي جَلْبَابِ رَاقِصَةٍ
وَالْطَّيْرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ الْعِيُونِ بِهَا
وَأَقْبَلَتِ النَّبَاتُ الْأَرْضُ مُخْتَلِفًا

(١) هو أحد شوقي بك ابن أحد شوقى بك ولد بالقاهرة ونشأ فيها . على أن أصله ، كما يحدث هو عن نفسه ، عربى تركى يونانى ، جركسى . وكانت نشأته فى كنف بيت الملك ، وقد تقدم فى العلم حتى دخل مدرسة الحقوق صغير السن . فلما تخرج فيها سنتين ، ثم أُنشىء بها قسم للترجمة فلما تخرج فيه سنتين أخرتين وحصل على الإجازة النهائية ، ثم أوفده المرحوم الخديو توفيق على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والأدب فلما عاد ألقمه بمعيته ، فلما تخرج في المعية الخديوية حتى نشب الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ فترك مصر وعاش في إسبانيا ، ثم عاد إلى مصر .

٤) الفيحاء : دمشق .

(۳) بردی : نهر دمشق *

(٤) اللعبين بضم اللام وفتح الجيم : الفضة . والعقيان : الذهب الخالص .

(٥) دمر : ضاحية دمشق . الحور الأولى : شجر عظيم يشبه السرو . والحور الثانية : جمع حوراء .
المرأة في عينها حور ، أى شدة بياضها مع شدة سوادها ، والمراد بالحور : الحسان .

(٦) أفوانيه : جم فوف بالضم ، نوع من الشياط • والمراد هنا الزهر •

وقد صَفَ (برَدَى) لارِيْجَ فَابْرَدَتْ لَدَى سُتُورِ حَوَّاشِيْنَ أَفْنَانَ^(١)
ثُمَّ انْثَنَتْ لَمْ يَزُلْ عَنْهَا الْبِلَالُ وَلَا جَفَّتْ مِنَ الْمَاءِ أَذْيَالَ وَأَرْدَانَ^(٢)

وقال يتغزل :

وَأَرَاكَ فِي حَالِي دَلَالَكَ مُبْدِعًا
حَتَّى يُطَاعَ عَلَى الدَّلَالِ وَيُسْمَعَا
وَعَلَى أَنْ أَهْوَى الْفَزَالَ مُرْوَعًا
وَأَقُولُ : مَا سَمِعَ الْفَزَالُ وَلَا وَعَى
وَيُحِبُّ تِيهَكَ فِي نِفَارِكَ مُطْمِعًا
وَجَعَلْهُمَا أَمْلَاً عَلَيْكَ مُضَيَّعًا
أَنْ أَمْنَحَ الدِّينَا بِهِ أَوْ أَمْنَعَا

تَأْتِي الدَّلَالَ سِجِّيَّةً وَتَصَنَّعَا
تِهْ كَيْفَ شِئْتَ فَا الجَمَالُ بِحَاكِمٍ
لَكَ أَنْ يُرَوِّعَكَ الْوَسَاطَةُ مِنَ الْهَوَى
قَالُوا : لَقَدْ سَمِعَ الْفَزَالُ لِمَنْ وَشَى
أَنَا مَنْ يُحِبُّكَ فِي نِفَارِكَ مُؤْنِسًا
قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيَ أَيَّامَ الْهَوَى
وَصَدَقْتُ فِي حَيٍّ وَلَسْتُ مُبَالِيَا

وقال يتغزل أيضاً :

أَخْسَنُ الْأَيَّامِ يَوْمُ أَرْجَعَكُ^(٣)
أَرْتُى يَا حُلُوْ بُعْدِي رَوَعَكُ ؟
مَطْلَعُ الْفَجْرِ عَسَى أَنْ يُطْلِعَكُ
فَشَكَّا الْحُرْقَةَ إِمَّا اسْتَوْدَعَكُ

رُدَّتْ الرُّؤْخُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكُ
مَرَّ مِنْ بُعْدِكَ مَا رَوَعَنِي
كَمْ شَكَوْتُ الْبَيْنَ بِاللَّيْلِ إِلَى
وَبَعَثْتُ الشَّوْقَ فِي رِيحِ الصَّبَابَا

(١) ابتردت : اغتنست .

(٢) البَلَالُ : أَيُّ الْبَلَالُ . أَرْدَانُ : جَمْ رَدْنَ بِضمِ الرَاءِ (وَسْكُونُ الدَالِ) وَهُوَ السَّكُونُ .

(٣) ضَنِي الرَّجُلُ عَلَى وَزْنِ عِلْمٍ : مَرْضٌ فَمُكِنٌ مِنْهُ الْفَضْلُ وَالْهَزَالُ .

يا نَعِيمِي وَعَذَابِي فِي الْهَوَى مَا جَعَكَ ؟
 أَنْتَ رُوحِي ، ظَلَمَ الْوَاهِي الَّذِي
 زَعَمَ الْقَلْبَ سَلاً أَوْ ضَيْعَكَ^(١)
 آهَ لَوْ تَعْلَمَ عَنْدِي مَوْقِعَكَ
 لَيَتَ لِي فَوْقَ الضَّنَّا مَا أَوْجَعَكَ
 تَسْكُبُ الدَّمْعَ وَتَرْعَى مَضْجَعَكَ
 مَوْقِي عَنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ
 أَرْجُفُوا أَنْكَ شَكِّاً مُوجَعَ
 نَامَتِ الْأَعْيُنِ إِلَّا مُقْلَةً

وَقَالَ يَصْفُ الطَّبِيعَةَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْأَسْتَانَةِ قَادِمًا مِنْ أُورْبَا :

تَلَكَ الطَّبِيعَةُ قَفْ بِنَا يَا سَارِي
 حَتَّى أُرِيكَ بَدِيعَ صُنْعُ الْبَارِي
 الْأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسَّمَاءُ اهْتَزَّتَا
 مِنْ كُلِّ نَاطِقَةِ الْجَلَالِ كَأَنَّهَا
 مِنْ كُلِّ الْكِتَابِ عَلَى لِسَانِ الْقَارِي^(٢)
 دَلَّتْ عَلَى مَلَكِ الْمُلُوكِ فَلَمْ تَدَعْ
 لِأَدَلَّةِ الْفُقَهَاءِ وَالْأَحْبَارِ^(٣)
 مِنْ شَكٍّ فِيهِ فَنَظَرَةٌ فِي صُنْعِهِ
 تَنْهُو أَثْيَمَ الشَّكِّ وَالْإِنْكَارِ

كُشْفُ الْغُطَاءِ عَلَى الْطَرْوَلِ وَأَشْرَقَتْ
 مِنْهُ الطَّبِيعَةُ غَيْرَ ذَاتِ سِتَّارٍ
 شَبَهَتْهَا (بِلْقَيْسَ) فَوْقَ سَرِيرِهَا
 فِي نَصْرَةٍ وَمَوَاكِبِ وَجْهَارِي

(١) سلا : سلاك أي نسيك .

(٢) أَمِ الْكِتَابِ : فاتحته .

(٣) الأَحْبَارِ : جم جبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

أو (باب داود) وَاسْعِ مُلْكَهُ وَمَعَالِمُ لِلعزَّ فِيهِ كَبَارٌ^(١)
هُوجُ الرياح خَواشِعُ فِي بَابِهِ وَالطَّيْرُ فِيهِ نَوَّاكُسُ المُنْقَارُ^(٢)

* * *

قَامَتْ عَلَى صَاحِي الْجَنَانِ كَانَهَا رَضْوانُ يُزْجِي الْخَلَدَ الْأَبْرَارِ^(٣)
كَمْ فِي الْخَائِلِ؛ وَهِيَ بَعْضُ إِمَاءِهَا
مِنْ ذَاتِ الْخَلَالِ وَذَاتِ سَوَارِ^(٤)
وَحَسِيرَةٌ عَنْهَا الشَّيَابُ وَبَضَّةٌ
فِي النَّاعِمَاتِ تَجْرُّ فَضْلَ إِلَازَارِ^(٥)
وَضَحْوَلٌ سَنٌ قَلَّا الدُّنْيَا سَنَى
وَغَرِيقَةٌ فِي دَمَعَهَا الْمَدْرَارِ^(٦)
وَوَحِيدَةٌ بِالنَّجْدِ تَشَكُّو وَحْشَةً
وَكَبِيرَةُ الْأَتْرَابِ بِالْأَغْوَارِ^(٧)

* * *

وَلَقَدْ تَمَرَّ عَلَى الْفَدَيرِ تَخَالُهُ وَالنَّبْتَ مَرَآةً زَهَتْ بِإِطَارِ^(٨)
كَانَمِلٌ مَرَّتْ عَلَى أَوْتَارِ
خُلُوِّ التَّسْلَسُلِ مَوْجَهٌ وَخَرِيرُهُ
سَدَّتْ سَوَاعِدَ مَائِهِ وَتَالَقَتْ
فِيهَا الْجَوَاهِرُ مِنْ حَصَى وَجِمارٍ^(٩)
يَنْسَابُ فِي مُخْضَلَةٍ مُبْتَلَةٍ مَذْسُوجَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ وَنَضَارٍ^(١٠)

(١) المعالم : جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه .

(٢) هوج . جمع هوجاء ، والريع الهوجاء التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت .

(٣) الصاحي : المكان البارز . يُزجي : يسوق ويستحب .

(٤) الإمام : الجواري .

(٥) الإزار : اللحفة وكل ماستر .

(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . الغور : القعر من كل شيء .

(٧) إطار الشيء : كل ما أحاط به والمعنى أن الفدير بما استدار على حافته من الزهر كانه مرأة لها إطار .

(٨) جمار : جم جمرة وهي الحصى .

(٩) أخضل الشيء : صار نديا بليلا . النضار : الذهب .

مُختَارَةُ الشِّعْرَاءِ فِي آذار
دَمْعُ الصَّبَابَةِ بِلَهَ غَصْنَ عَذَار
مُنْشَقَةً عَنْ آنْهُرٍ وَبِحَارٍ^(١)
جَبَلَاتٍ مِنْ صَخْرٍ وَمَاءٍ جَارٍ

وَقَالَ فِي وَصْفِ الطِّيَارَةِ، وَهَذَا مِنْ أَبْرَعِ الْكَلَامِ :

يَا إِلَهَ إِنِّي أَعَاجِيبُ الْقَضَاءِ!
فِي عَنَائِنِ لَهُ : نَارٌ وَمَاءٌ
كَجَنَاحِ النَّحْلِ مَصْقُولٌ سَوَاءٌ
مَسَّهُ صَاعِقَةٌ مِنْ كَهْرِ بَاءٍ
فَإِذَا جَدَّ فَسَمَّاً ذَا مَضَاءٌ
جَرَّ كَالْطَّاوُوسَ ذَيلَ الْخَيْلَاءِ

زَهْرَاءُ عَوْنَ الْمَائِسِقِينَ عَلَى الْهَوَى
قَامَ الْجَلِيلِ سُدُّ بَهَا وَسَالَ كَأَنَّهُ
وَتَرَى السَّمَاءَ ضَحَى وَفِي جَنْحِ الدَّجَى
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ سَلَكْتَ وَمَذَهَبِ

وَقَالَ فِي وَصْفِ الطِّيَارَةِ ، وَهَذَا مِنْ أَبْرَعِ الْكَلَامِ :

نِصْفَهُ طَيْرٌ وَنِصْفَهُ بَشَرٌ
حَمَلَ الْفَوْلَادُ رِيشًا وَجَرَى
وَجَنَاحٍ غَيْرِ ذِي قَادِمَةٍ
وَذَنَابَى ، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا
يَتَرَاءَى كَوْكِبًا ذَا ذَنبٍ
فَإِذَا جَازَ الْثُرَيَا لِلثَّرَى

وَمِنْ قُصْيَدَةِ لَهُ دُعَاهَا : (الْأَنْدَلُسُ الْجَدِيدَةُ) :

هَوَتِ الْخِلَافَةُ عَنْكِ وَالْإِسْلَامُ^(٢)
طُوِيتْ وَعَمَ الْعَالَمَيْنَ ظَلَامُ^(٣)
قَدَرَ يَحْطُطُ الْبَدْرَ وَهُوَ تَامٌ

يَا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلَامٌ
نَزَلَ الْمَهْلَلَامُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيَتَهَا
أَزْرَى بِهِ وَأَزَالَهُ عَنْ أَوْجِهِ

(١) الدَّجَى : الظُّلْمَةُ أو سُوادُ اللَّيْلِ .

(٢) يَا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ : يَخاطِبُ مَدِينَةَ أَدْرَنَةَ وَقَدْ كَانَتْ مِنْ أَمَمَاتِ الْمَدَنِ الْعَمَانِيَّةِ فِي مَقْدُونِيَّةِ وَبَهَا مَقَابِرُ كَثِيرَيْنَ مِنْ سُلاطِينِ آلِ عَمَانَ ، جَاءَتِ الْأَنْبَاءُ بِغَلَبَةِ الْبَلْغَارِ عَلَيْهَا فِي الْحَرْبِ سَنَةِ ١٩١٣م بَعْدَ أَنْ أَبْلَتْ حَامِيَّتَهَا فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا بِلَاءَ حَسَنًا .

(٣) أَزْرَى بِهِ : وَضَعَ مِنْ شَأْنِهِ . الأَوْجُ : الْعُلوُّ .

جُرَحَانِ تَمْضِيَ الْأَمْتَانِ عَلَيْهِمَا : هَذَا يَسِيلٌ وَذَاكَ لَا يَلْتَامُ^(١)
 بِكَمَا أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ وَفِي كَمَا
 دُفِنَ الْبَرَاعُ وَغُيْبَ الصَّمْصَامُ^(٢)
 لَبِسُوا السَّوَادَ عَلَيْكَ فِيهِ وَقَامُوا^(٣)
 فِيهَا نُجْبٌ وَنَكْرَةُ الْأَيَّامُ
 دُولٌ الْفُتُوحُ كَانُوا أَخْلَامٌ^(٤)
 فَإِذَا غَفَلْنَا فَنَا عَلَيْهِ مَلَامٌ^(٥)

لَمْ يُطْوِ مَا تَمَّهَا ، وَهَذَا مَا تَمَّ
 مَا بَيْنَ مَصْرَعَهَا وَمَصْرَعَكَ انْقَضَتْ
 خَلَتِ الْقُرُونُ كَلَيْلَةٍ وَأَصْرَمَتْ
 وَالدَّهْرُ لَا يَأْلُو الْمَمَالِكَ مُنْذِرًا

* * *

كَيْفَ الْخَوْلَةُ فِيكَ وَالْأَعْمَامُ !^(٦)
 وَعُلُومُهُمْ يَتَخَالَّ الْإِسْلَامُ^(٧)
 طَلَعَتْ عَلَيْكَ فَرِيسَةٌ وَطَعَامٌ^(٨)
 وَتَفَرَّى السَّاقُ ، وَحَالَ الْجَامُ^(٩)
 مَقْدُونِيَا ، وَالْمُسْلِمُونَ ، عَشِيرَةُ
 أَتَرَيْنَهُمْ هَانُوا ، وَكَانَ بَعْزُهُمْ
 إِذَا أَنْتَ نَابُ الْلَّيْثُ ، كُلُّ كَتَبِيَّةٍ
 مَا زَالَتِ الْأَيَّامُ حَتَّى بُدَّلَتْ

(١) جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدي المسلمين ، والثاني خروج الأندلس من أيديهم .
 الأمتان هم العرب أيام نكبة الأندلس ، والترك أيام ضياع أدرنة .

(٢) البراع : يريد القلم ، والصمصام : السيف .

(٣) لم يطوا مائتها : أي مائة الأندلس .

(٤) خلت : مضت . تصرمت : انقضت .

(٥) لا يألو : لا يقصر ولا يعطى .

(٦) مقدونيا : اسم الإقليم الذي تقع فيه أدرنة . العشيرة : قبيلة الرجل . الخوولة : نسبة إلى الحال كالعمومة وهي النسبة إلى العم .

(٧) يتخايل : يتبعثر .

(٨) إذ أنت ناب الليث : أي مثل الليث في أنه مخوف لا يمكن الوصول إليه . الكتبية : الجيش ، وقيل القطعة منه . والمعرف أن الإسلام كان يتخايل بعز أبنائه في مقدونيا حينما كانت ممتنعة على العدو كما متسع الليث على من يريده . وحينها كانت تفني دونها جيوش الأعداء .

(٩) حال : تحول من حال إلى حال . والجام : إناء من فضة تسقى فيه الماء .

أَرَيْتِ كَيْفَ أَدِيلَ مِنْ أَسْدَ الشَّرَى
وَشَهِدتِ كَيْفَ أُبِيَحَتِ الْأَجَامُ^(١)
زَعَمُوكِ هَمَا لِلخِلَافَةِ نَاصِبَا
وَيَقُولُ قَوْمٌ : كُنْتِ أَشَامَ مَوْرِدِ
وَهَلِ الْمَمَالِكُ رَاحَةُ وَمَنَامُ^(٢)
وَيَقُولُ قَوْمٌ : كُنْتِ أَشَامَ مَوْرِدِ
وَرَأَكِ سَائِنَةَ عَلَيْكِ زَحَامُ
وَرَأَكِ دَاءُ الْمُلْكِ نَاسُ جَهَالَةَ
بِالْمُلْكِ مِنْهُمْ عِلَّةٌ وَسَقَامٌ
لَوْ آتُوا الإِصْلَاحَ كُنْتُ لِعِرْشِهِمْ
رُكْنًا عَلَى هَامِ النُّجُومِ يُقَامُ^(٣)
وَهُمْ يُقَيِّدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ
وَقُيُودُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَوْهَامُ
صُورُ الْعَمَى شَتَّى ، وَأَقْبَحُهَا إِذَا
نَظَرَتْ بِغَيْرِ عِيُونِهِنَّ الْهَامُ
وَلَقَدْ يُقَامُ مِنَ السُّيُوفِ ، وَلَيْسَ مِنْ
عَثَّاتِ أَخْلَاقِ الشُّعُوبِ قِيَامُ

وَمِنْ روائع حكمه ، وما جرى من شعره مجرى الأمثال . قوله :

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبُوا ذَهَبُوا

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِيمْ عَلَيْهِمْ مَا تَمَّ وَعَوِيَّاً

وَمَا السُّلَاحُ لِقَوْمٍ كُلُّ عُدُّتِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي أَهْبَ

(١) أدب منها : صارت مغلوبة بعد أن كانت غالبة . والشري : مكان تكثُر فيه الأسود . الأجام : جمع أجم ، وهو الشجر الملتف تألفه الأسود أيضاً .

(٢) الهم الناصب : المتسبب .

(٣) لو آتُوا الإصلاح : أى لو اختاروه . الهم : جمع هامة ، وهي رأس كل شيء .

عَلَى الْأَخْلَاقِ خُطُوا الْمُلْكَ وَابْنُوا فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلْعَزْ رُكْنٌ

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ بُنْيَانٌ قَوْمٌ إِذَا أَخْلَاقُهُمْ كَانَتْ خَرَابًا

وَلَا مُصَاصَبٌ إِذْ يُرْمَى الرِّجَالُ بِهَا بِقَاتِلَاتٍ إِذَا الْأَخْلَاقُ لَمْ تُصَبِّ

أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الدِّي يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا؟

وَلَيْسَ بِالْفَاضِلِ فِي نَفْسِهِ مَنْ يُنْكِرُ الْفَضْلَ عَلَى رَبِّهِ

مَا أَصْبَحَ الْفِعْلَ لِمَنْ رَأَمَهُ وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَ

رَبُّ إِنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ وَإِذَا شِئْتَ فَالْمُضِيقُ فَضَاءٌ

* وَاسْتَقِيمُوا يَفْتَحَ اللَّهُ لَكُمْ بَابًا فَبَابًا

وَالْجَهَلُ مَوْتٌ فَإِنْ أُوتِيتَ مُعْجِزَةً فَابْعَثْ مِنَ الْجَهَلِ أَوْ فَابْعَثْ مِنَ الرَّجَمِ

* * *

صَلَاحٌ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوْمٌ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمُ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرٍ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْأَعٍ وَخِيمٍ

* * *

* المَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحْمِ *

تم بعون الله تعالى طبع هذا الكتاب في يوم السبت ٢٢ ذى الحجة
سنة ١٣٧٣ هـ (الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٤ م) بطبع
دار الكتاب العربي لصاحبها ومديرها محمد حلمي النياوي